كِتَابُ التَّوحِيدِ

تأليف الإمام المجدّد
محمّد بن عبد الوهّاب رحمه الله
المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ

وكتاب القول السّديد
في مقاصد التوحيد

للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رحمه الله
المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ

طبعة مراجعة مصححة

لا إله إلا الله



دار الدعوة السلفية

كتاب التوحيد

تأليف الإمام المجدد

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

المتوفى سنة ١٢٠٦هـ

وكتاب القول السديد

في مقاصد التوحيد

للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رحمه الله

المتوفى سنة ١٣٧٦هـ

طبعة مراجعة مصححة



دار الدعوة السلفية

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

رقم الإيداع ٩٢/٤٧٤٩



دار الدعوة السلفية

٥١ شارع بولتين

الإبراهيمية ت : ٥٩٧٨٤٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــة

بقلم العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدى
وهى تشتمـل على صفـوة عقيـدة أهل السنة وخلاصتها المستمدة من الكتاب والسنة

الحمد لله . نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنـا وسيئـات أعـمالنا ، من يهْدِ الله فلا مُضِلَّ له . ومن يُضْلل فلا هاديَ له . وأشهـد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه .

أما بعدُ : فقد سبق أن كتبنا تعليقاً لطيفاً فى موضوعات كتاب التـوحيد لشيخ الإسلام (محمد بن عبد الوهاب) قدَّس الله روحه ، فحصـل فيـه نفـع ومعونة للمشتغلين ، ومساعدة للمعلِّمين ، لما فيه من التفصيـلات النـافعة مع الوضوح التام . وطبع بمطبعة الإمام ثم نفـدت نسخـه مع كثـرة الطلب عليـه . ودعت الحاجة الشديدة إلى إعـادة طبعـه ونشـره ، وفى هذه المرة بَدَا لِي أن أُقَدِّمَ أمام ذلك مقدمة مختصـرة تحتـوى على مُجمـلات عقـائـدِ أهـل السنـة ، فى الأصـول وتوابعها ، فأقول مستعينًا بالله .

وذلـك أنهم يؤمنـون بالله ومـلائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدَر خيره وشره .

فيشهـدون أن الله هو الـربُّ الإلـه المعبـود ، المتفرِّد بكل كمال فيعبدونه وحْدَه ، مخلصين له الدين .

فيقـولـون : إن الله هو الخالق البارىء المصور الرزّاق المعطي المانع المدبر لجميع الأمور .

وانه المألوهُ المعبودُ الموحَّدُ المقصود ، وأنه الأول الذي ليس قبله شيء ، الآخـر الـذي ليس بعـده شيء ، الظـاهـر الـذي ليس فوقه شيء ، الباطن الذي ليس دونه شيء .

وأنــه العـليُّ الأعلى بكـل معنى واعتبـار ، علو الـذات وعلو القدر ، وعلو القهر .

وأنـه على العـرش استـوى ، استواءً يليق بعظمته وجلاله ، ومـع علوه المطلق وفـوقيتـه ، فعلمـه محيط بالظواهر والبواطن والعالم العلوى والسفلى ، وهـو مع العبـاد بعلمـه ، يعلم جميـعَ أحوالهم ، وهو القريب المجيب .

وأنـه الغنى بذاته عن جميع مخلوقاته ، والكل إليه مفتقرون فى إيجادهم وايجاد ما يحتاجون إليه فى جميع الأوقات ، ولا غنًى لأحد عنه طرفـة عين ، وهـو الـرءوف الرحيم ، الذى ما بالعباد من نعمة دينية ولا دنيوية ولا دفع نقمة إلا من الله ، فهو الجالب للنعم ، الدافع للنقم .

ومن رحمته أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا يستعرض حاجاتِ العباد حين يبقى ثلث الليل الآخر . فيقول : لا أسألُ عن عبادي غيري ، مَنْ ذا الذي يدعوني فأستجيب له ، مَنْ ذا الذي يسألني فأعطيه ، مَنْ ذا الذي يستغفرني فأغفر له ، حتى يطلع الفجر . فهو ينزل كما يشاء ويفعل كما يريد ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

ويعتقدون أنه الحكيم ، الذى له الحكمة التّامَّة فى شرعه وقدره ، فما خلق شيئاً عبثاً ، ولا شرع الشرائع إلا للمصالح والحكم .

وأنه التوَّاب العفوُّ الغفور ، يقبل التوبةَ مِنْ عباده ويعفو عن السيِّئات ، ويغفر الذنوب العظيمة للتائبين والمستغفرين والمنيبين .

وهو الشكور الذى يشكر القليل من العمل ويزيد الشاكرين من فضله .

ويصفونه بما وَصَفَ به نفسَه ، وَوَصَفَهُ به رسولُ الله ﷺ .

من الصفات الذاتية ، كالحياة الكاملة ، والسمع والبصر ، وكمال القدرة والعظمة والكبرياء ، والمجد والجلال والجمال ، والحمد المطلق .

ومن صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته كالرحمة والرضا ، والسخط والكلام ، وأنه يتكلم بما يشاء كيف يشاء وكلماته لا تنفد ، ولا تبيد .

وإن القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ ، وإليه يعود .

وأنـه لم يَزَلْ ولا يزالُ موصـوفاً بأنه يفعل ما يريدُ ، ويتكلم بما شاء ، ويحكم على عبـاده بأحكـامـه القَـدَرِيَّـة ، وأحكـامه الشرعية وأحكـامـه الجـزائيـة ، فهـو الحاكم المالك ، ومَنْ سِوَاه مملوك محكوم عليه ، فلا خروجَ لِلْعبادِ عن ملكه ولا عن حكمه .

ويُـؤمنـون بما جاء به الكتـابُ وتواترت به السنة : أنَّ المؤمنين يَرَوْنَ رَبَّهم تعالى عيانًا جهرةً ، وأنَّ نعيمَ رُؤيتِهِ والفوزَ برضوانه أكبرُ النعيم واللـذة .

وأن مَنْ مات على غير الإيمان والتوحيد فهو مُخَلَّدٌ في نار جهنم أبدًا ، وأن أرباب الكبائر إذا ماتوا على غير توبة ولا حصل لهم مُكَفِّرٌ لذنوبهم ولا شفاعة فإنهم وإن دخلوا النار لا يخلدون فيها ، ولا يبقى في النار أحدٌ في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان إلَّا خَرَج منها .

وأن الإيـمان يشمـلُ عقائدَ القلوب وأعمالها ، وأعمال الجوارح وأقـوال اللسـان ، فمن قام بها على الوجه الأكمل فهو المؤمن حقًّا ، الـذى استحق الثـواب وسَلِمَ مِنَ العِقـاب ، ومَن انتقصَ منهـا شيئًـا نقص مِن إيـمانِـه بقدر ذلك . ولذلك كان الإيمان يزيدُ بالطاعة وفعل الخير ، وينقصُ بالمعصية والشر .

ومن أصولهم السَّعْيُ والجِدُّ فيما ينفعُ من أمور الدين والدنيا مع الاستعـانـة بالله . فهم حريصـون على ما ينفعهم ويستعينون بالله . وكـذلـك يُحَقِّقُـون الإخلاصَ لله في جميع حركاتهم ، ويَتَّبِعُون رسولَ الله في الإخـلاص للمعْبُـود والمتـابعة للرسول ، والنصيحة للمؤمنين أتبَاعُ طَرِيقِهِم .

ويشهدون أن محمَّدًا عبدُه ورسولُه أرسلَه الله بالهدى ودين الحق ليظهرَهُ على الدِّين كُلِّهِ ، وأنه أَوْلَى بالمؤمنين من أنفسهم ، وهو خاتم النبيين ، أُرْسِلَ إلى الإنس والجن بشيرًا ونذيرًا ، ودَاعِيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، أرسله بصلاح الدين وصلاح الدنيا ، وليقوم الخَلْقُ بعبادة الله ويستعينوا برزقه على ذلك .

وَيَعْلَمُون أنه أعلَمُ الخلق وأصدقهم وأنصحهم وأعظمهم بيانًا ، فيعظمونه ويحبونه ، ويقدمون محبته على محبة الخلق كُلِّهِم ويتبعُونه فى أصولِ دينهم وفروعه .

ويقدِّمُون قَوْلَهُ وهَدْيَهُ على قولِ كُلِّ أحدٍ وهديه .

وَيَعْتقدُون أن الله جَمَعَ له من الفضائل والخصائص والكمالات ما لم يجمَعْه لأحد ، فهو أعلى الخلق مقامًا وأعظمهم جاهًا ، وأكملهم فى كل فضيلة ، لم يبق خير إلا دلَّ أُمَّتَه عليه ، ولا شر إلا حذَّرَهم منه .

وكذلك يؤمنون بكل كتاب أنزله الله ، وكُلِّ رسولٍ أرسله الله ، لا يفرقون بين أَحَدٍ من رُسُلِهِ .

ويؤمنون بالقدر كله ، وأن جميعَ أعمالِ العبادِ ـ خيرِها وشرِّها قد أحاط بها علمُ الله ، وجرى بها قلمُه ، ونفذت فيها مشيئته ، وتعلقت بها حكمتُه ، حيث خلق للعباد قدرةً وإرادةً ، تقع بها أقوالهم وأفعالهم بحسب مشيئتهم ، لم يجبرْهم على شىءٍ منها بل مختارين لها ، وخَصَّ المؤمنين بأن حَبَّبَ إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم ، وكَرَّه إليهم الكفرَ والفسوقَ والعِصْيان بعَدْلِهِ وحكمته .

ومِنْ أُصُـول أهـل السُّنَّـة أنهم يدينُـونَ بالنصيحـة لله ولكتابه ورســولـه ، ولأئمـة المسلمـين وعـامتهـم ، ويأمـرون بالمعـروف ، ويَنْهَـوْنَ عن المنكـر على ما توجبـه الشريعةُ ، ويأمرون بِبِرِّ الوالدين وَصِلَةِ الأرحـام ، والإحسـان إلى الجيران والمماليك والْمُعَامِلِينَ ، وَمَنْ له حقٌّ ، وبالإحسان إلى الخلق أجمعين .

ويَـدْعُـون إلى مكـارم الأخـلاق ومحـاسنهـا ، ويَنْهَـوْن عن مساوىء الأخلاق وأرذلها .

ويعتقـدون أن أكمـل المـؤمنـين إيماناً ويقينًا ، أحسنُهُم أعمالًا وأخــلاقـًا . وأَصْـدقُهُم أقـوالًا ، وأهـداهم إلى كل خير وفضيلة . وأبعدهم من كل رذيلة .

ويأمـرون بالقيـام بشرائع الدين ، على ما جاء عن نبيهم فيها وفى صفاتها ومكملاتها . والتحذير عن مفسداتها ومنقصاتها .

وَيَرَوْن الجِهَاد فى سبيل الله ماضيًا مع البَرِّ والفاجِر ، وأنه ذِرْوَةُ سَنـام الـدين . جهـادَ العلمِ والحُجَّةِ . وجهادَ السِّلاح . وأنه فرضٌ عَلَى كلِّ مسلمٍ أن يدافعَ عَنِ الدِّين بكل ممكن ومستطاع .

ومن أصُـولهم الحث على جَمْع كلمـة المسلمـين . والسَّعْي فى تقريبِ قلوبهم وتأليفِهَا . . والتَّحْذير من التفرق والتعادي والتباغض والعمل بكل وسيلة توصل إلى هذا .

ومن أصـولهم النَّهْيُ عن أذيَـّةِ الخلْقِ فى دمــائهم وأمــوالهم وأعـراضهم وجميـع حقـوقهم ، والأمـرُ بالعـدْل والإنصـاف فى جميع المعاملات . والنَّدْب إلى الإحسان والفضل فيها .

ويـؤمنـون بأن أفضلَ الأمم أمةُ محمَّدٍ ﷺ وأَفْضَلَهُمْ أصْحَابُ رسـولِ الله ﷺ . خصـوصًـا الخلفاءُ الراشدون والعشرةُ المشهود لهم بالجنـة . وأهـلُ بدر . وبيعـةِ الـرضـوان والسَّـابقـون الأوَّلُـون من المهاجرين والأنصار . فيحبُّون الصَّحَابة ويدينُون لِلهِ بذلك .

ويَنْشُرُونَ مَحَاسِنَهُم ويسْكتون عَمَّا قيل عن مَسَاوئهم .

ويـدينـون لله باحـترام العلماء الهـداة وأئمـة العدل ، ومَنْ لهم المقاماتُ العاليةُ فى الدين والفضل المتنوع على المسلمين ، ويسألون الله أن يعيـذَهُم مِنَ الشَّـك والشِّـرْك والشقاقِ والنفاقِ وسُوء الأخلاق وأن يثبتهم على دين نبيهم إلى المات .

هذه الأصول الكلية بها يؤمنون ولها يعتقدون وإليها يدعون .

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(1) .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ الآية(2) .

وقوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ الآية(3) .

وقوله : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ ـ الآية(4) .

وقوله : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ : أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ . الآيات(5) .

كتاب التوحيد

هذه الترجمةُ تدل على مقصود هذا الكتاب مِنْ أوله الى آخره .

ولهذا استغني بها عن الخطبة ، أي أن هذا الكتاب يشتمل على توحيد الإلهية والعبادة بذكر أحكامه ، وحدوده وشروطه ، وفضله وبراهينه ، وأصوله وتفاصيله ، وأسبابه ، وثمراته ، ومقتضياته ، وما يزداد به ويقويه ، أو يضعِّفه ويوهيه ، وما به يتم أو يكمل .

---

(1) الآية ٥٦ : الذاريات .

(2) من الآية ٣٦ : النحل .

(3) الآية ٢٣ : الاسراء .

(4) الآية ٣٦ : النساء .

(5) الآيات من ١٥١ - ١٥٣ : الأنعام .

قال ابن مسعـود : « مَنْ أراد أن ينظـرَ إلى وصية مُحمَّد صلى الله عليـه وسلم التى عليهـا خاتمُـه فليقرأ قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْئًا ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ ـ الآية .

عن معـاذ بن جبـل رضيَ الله عنـه قال : « كنتُ رديفَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي : يا معاذ ؟ أَتدْرِى مَا حَقُّ اللَّهِ عَلى العِبَـاد ، وَمَـا حقُّ العِبَاد عَلى الله ؟ قُلْتُ اللَّهُ ورَسُـولُـه أَعْلَم ، قال : حقُّ اللَّه على العبَـاد أن يَعْبُدُوهُ ولا يُشْـرِكُوا به شيئًا ، وحَقُّ العِبَاد على الله أن لا يُعذِّب مَنْ لا يُشْرك به شيئًا ، قلت : أفلا أُبشِّرُ الناسَ ؟ قال : لا تُبشِّرْهُمْ فَيَتَّكلُواْ » أخرجاه فى الصحيحين .

اعلم أن التـوحيـد المطلق:العلم والاعـتراف بتفـرد الـربِّ بصفات الكمال ، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال . وإفراده وحْدَه بالعبادة .

وهـو ثلاثـة أقسـام

أحدها : توحيد الأسماء والصفات .

وهو اعتقاد انفراد الربِّ جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعُـوت العظمـةِ والجـلال والجـمال التى لا يشـاركـه فيها مُشارك بوجه من الوجوه ، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع

فيـــه مســائل

الأولى : الحكمة فى خلق الجن والانس .

الثانية : ان العبادة هى التوحيد ، لان الخصومة فيه .

الثالثة : ان من لم يأت به لم يعبد الله ففيه معنى قوله : ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ .

الرابعة : الحكمة فى إرسال الرسل .

الخامسة : أن الرسالة عمت كل أمة .

السادسة : أن دين الأنبياء واحد .

السابعة : المسألة الكبيرة : أن عبادة الله لا تحصل الا بالكفر بالطاغوت . ففيه معنى قوله : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ الآية .

الثامنة : أن الطاغوت عام فى كل ما عُبد من دون الله .

التاسعة : عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات فى سورة الأنعام عند السلف ، وفيها عشر مسائل .

أولاها النهي عن الشرك .

والعاشرة : الآيات المحكمات فى سورة الاسراء .

وفيها ثمانية عشر مسألة بدأها الله بقوله :

الأسماء والصفات ، ومعانيها وأحكامها ، الواردة فى الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيءٍ منها ولا تعطيلٍ ، ولا تحريفٍ ولا تمثيلٍ .

ونفى ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسولُه ﷺ من النقائص والعيوب وعن كلِّ ما ينافي كمالَهُ .

﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ .

وختمها بقوله :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ .

ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله :

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾ .

الحادية عشرة : آية سورة النساء التى تسمى آية الحقوق العشرة بدأها الله تعالى بقوله : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ .

الثانية عشرة : التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته .

الثالثة عشرة : معرفة حَقِّ اللَّهِ علينا .

الرابعة عشرة : معرفة حَقِّ العباد عليه إذا أدَّوْا حقه .

الخامسة عشرة : أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة .

السادسة عشرة : جواز كتمان العلم للمصلحة .

السابعة عشرة : استحباب بشارة المسلم بما يسره .

الثانى : توحيد الربوبيَّة

بأن يعتقد العبدُ أن الله هو الربُّ المتفردُ بالخلق والرزق والتدبير الذى ربَّى جميعَ الخلقِ بالنعم وربَّى خواصَّ خلقِهِ وهم الأنبياءُ وأتباعهم بالعقائد الصحيحة ، والأخلاق الجميلة ، والعلوم النافعة ، والأعمال الصالحة ، وهذه التربيَة النافعَةُ للقلوب والأرواح المثمرة لسَعَادة الدَّارين .

الثامنة عشرة : الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله .

التاسعة عشرة : قول المسؤول عما لا يعلم : (الله ورسوله أعلم) .

العشـــــرون : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض .

الحادية والعشرون : تواضعه ﷺ لركوبه الحمار مع الإرداف عليه .

الثانية والعشرون : جواز الإرداف على الدابة .

الثالثة والعشرون : فضيلة معاذ بن جبل .

الرابعة والعشرون : عظم شأن هذه المسألة .

الثالث : توحيد الإلهية — ويقال له توحيد العبادة

وهو العلمُ والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين وإفراده وَحْدَه بالعِبَادة كلها وإخلاص الدين لله وحده ، وهذا الأخير يستلزم القسمين الأولين ويتضمنهما ، لأن الألوهية التى هى صفة تعم أوصَافَ الكمال وجميع أوصاف الربوبيَّة والعظمة ، فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال ، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والأفضال ، فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه .

ومقصود دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم الدعوة إلى هذا التوحيد .

باب فضل التوحيد وما يُكفِّرُ من الذنوب

وقول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾[1] ـ الآيـة . عن عُبـادة بن الصَّـامت قال : قال رسـول الله ﷺ : (مَنْ شَهِـدَ أن لا إلَـه إلَّا الله وحْـدَهُ لا شريـكَ لَهُ وأنَّ مُحمَّـدًا عبـدُه ورسـولُـه وأنَّ عيسى عبْـدُ اللهِ ورسُـوله وكلمتُه ألقاهَا إلى مريم وروح منه . والجنَّةَ حقٌّ والنارَ حق : أدخلَه الله الجنَّةَ على ما كان من العمَـل . أخـرجـاه . ولهما في حديث عتبان : (فإن الله حَرَّمَ عَلَى النار من قال : لا إله إلَّا الله يَبْتَغِي بذٰلك وَجْهَ الله) .

---

(١) الآية ٨٢ : الأنعام .

وعن أبى سعيد الخدْرى عن رسول الله ﷺ قال: «قال مُوسَى يا ربِّ عَلِّمْني شيئًا أذكُرُك وأدعوكَ بهِ. قال: قُلْ يا مُوسَى لَا إِلٰه إِلَّا الله. قال يا ربِّ. كُلُّ عِبَادِكَ يقولون هَذَا. قال: يا مُوسَىٰ لَوْ أن السَّمَٰوَاتِ السَّبْعَ وعَامِرَهُنَّ - غيري - والأرضينَ السبْعَ في كفَّة ولا إلٰه إِلَّا الله في كفة: مَالتْ بِهِنَّ لَا إلٰه إلا الله» رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

وللترمذى - وحسنه - عن أنس سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: قال الله تعالى: يا ٱبْنَ آدَم. لَوْ أتيتَنِي بقُرَاب الأَرضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشركُ بي شَيْئًا لأتيتُكَ بقرابهَا مَغْفِرةً.

(باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب)

لما ذكر فى الترجمة السابقة وجوب التوحيد، وأنه الفرض الأعظم على جميع العبيد، ذكرَ هنا فضله هووَآثاره الحميدة ونتائجه الجميلة، وليس شىء من الأشياء له من الآثار الحسنة والفضائل المتنوعة مثل التوحيد، فإن خير الدنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضائله.

فقول المؤلف رحمه الله. (وما يُكَفِّرُمِنَ الذنوب) من باب عطف الخاص على العام، فان مغفرة الذنوب وتكفيرَ الذنوب من بعض فضائله وآثاره كما ذكر شواهد ذلك فى الترجمة.

ومن فضائله أنه السببُ الأعظمُ لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما.

فيــــه مســائل

الأولى : سعة فضل الله .

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب .

الرابعة : تفسير الآية التي فى سورة الأنعام .

الخامسة : تأمل الخمس اللواتي فى حديث عبادة .

ومِنْ أجَلِّ فوائده أنه يمنعُ الخلود فى النار . إذا كان فى القلب منه أدنى مثقال حبة خردل .

وأنه إذا كمل فى القلب يمنع دخول النار بالكلية .

ومنها أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام فى الدنيا والآخرة .

ومنها أنه السببُ الوحيد لنيل رضا الله وثوابه ، وأن أسعدَ الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه .

ومن أعظم فضائله أن جميعَ الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة فى قبولها وفى كمالها وفى ترتب الثواب عليها على التوحيد ، فكلما قوى التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت .

ومن فضائله أنه يُسَهِّلُ على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويسلِّيه عن المصيبات ، فالمخلص لله فى إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصى لما يخشى من سخطه وعقابه .

ومنها أن التوحيد اذا كمل فى القلب حبَّبَ الله لصاحبه الإيمان وزينه فى قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان وجعله من الراشدين .

السادسة : أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبيّن لك معنى قول « لَا إِلٰه إلّا الله » وتبيّن لك خطأ المغرورين .

السابعة : التنبيه للشرط الذى فى حديث عتبان .

الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل « لا إله إلا الله » .

التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات ، مع أن كثيرًا ممن يقولها يخف ميزانه .

العاشرة : النص على أن الأرضين سبعٌ كالسموات .

ومنها أنه يخفف عن العبد المكاره ويُهوّن عليه الآلام . فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان تلقيه المكارهَ والآلامَ بقلبٍ مُنْشَرِحٍ ونفس مطمئنة وتسليم ورضًا بأقدار الله المؤلمة .

ومن أعظم فضائله أنه يحرّر العبْدَ من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم وهذا هو العز الحقيقى والشرف العالى .

ويكون مع ذلك متألها متعبدًا لله لا يرجو سواه ولا يخشى إلَّا إيَّاه ، ولا ينيب إلا إليه ، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه .

ومن فضائله التى لا يلحقه فيها شيء أن التوحيد إذا تم وكمل فى القلب وتحقق تحققا كاملا بالإخلاص التام ، فإنه يُصَيِّرُ القليلَ من عمله كثيرًا ، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب ، ورجحت كلمة الإخلاص فى ميزان العبد بحيث لا تقابلها السموات والأرض . . وعمارها من جميع خلق الله كما فى حديث أبى سعيد المذكور فى الترجمة وفى حديث البطاقة التى فيها لا إله إلا الله التى وزنت تسعة وتسعين سجلا من

الحادية عشرة : أن لهُنَّ عُمَّارًا .

الثانية عشرة : إثبات الصفات خلافًا للأشعرية .

الثالثة عشرة : أنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله في حديث عتبان « فإن الله حَرَّمَ على النَّار مَنْ قال لا إلـه إلا الله يبتغي بذلك وَجْهَ الله » أنه تَرْكُ الشِّرْك ، ليس قولها باللسان .

الرابعة عشرة : تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه .

الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله .

السادسة عشرة : معرفة كونه روحا منه .

السابعة عشرة : معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار .

الثامنة عشرة : معرفة قوله « على ما كان من العمل » .

التاسعة عشرة : معرفة أن الميزان له كفتان .

العشــرون : معرفة ذكر الوجه .

الذنوب ، كل سجل يبلغ مدَّ البصر . وذلك لكمال إخلاص قائلها . وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ ، لأنه لم يكن فى قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثلُ ولا قريبٌ مما قام بقلب هذا العبد .

ومن فضـائـل التـوْحيـد أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر فى الدنيا والعـز والشـرف وحصـول الهـدايـة والتيسـير لليسـرى وإصـلاح الأحوال والتسديد فى الأقوال والأفعال .

ومنهـا أن الله يدافـع عن المـوَحِّـدِين أهـلِ الإيـمان شرورَ الـدنيـا والآخـرة ، ويَمُن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره ، وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة والله أعلم .

باب من حقّق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]. وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾[2].

عن حصين بن عبد الرحمن قال: «كنتُ عند سعيد بن جُبَيْر فقال: أيكم رَأَى الكوكبَ الذي انقضَّ البارحةَ ؟ فقلت: أنا، ثم قلت أما أني لم أكن فى صلاة: ولكني لُدِغْتُ. قال فمَا صَنَعْتَ؟ قلت: آرتقيْتُ. قال: فما حَمَلَكَ على ذلك؟ قلتُ: حديث حدثناه الشعبي ، قال : وما حدثكم ؟ قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال : لا رُقْيَةَ إلّا مِنْ عيْنٍ أوْحُمَة ، قال أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : عُرِضَتْ

(باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب)

وهذا الباب تكميلٌ للباب الذى قبله وتابع له .

فإن تحقيقَ التوحيد تهذيبُه وتصفيتُه من الشرك الأكبر والأصغر ، ومن البدع القوليّة الاعتقادية ، والبدع الفعلية العملية ، ومن المعاصى وذلك بكمال الإخلاص لله فى الأقوال والأفعال والإرادات ، وبالسلامة من الشرك الأكبر — المناقض لأصل التوحيد ، ومن الشرك الأصغر المنافى لكماله ، وبالسلامة من البدع .

---

(١) الآية ١٢٠ : النحل . (٢) الآية ٥٩ : المؤمنون .

عليَّ الأمم ، فرأيتُ النبيَّ ومعــه الــرَّهْــطُ ، والنبيَّ معــه الـرجـل والـرجـلان ، والنبيَّ وليس معـه أحَـدٌ إذ رُفع لي سوادٌ عظيم فظننت أنهم أمتي : فقيـل لي هذا موسى وقـومُـه فنظرت فإذا سواد عظيم ، فقيـل لي : هذه أمتـك ، ومعهم سبْعُـون ألفـًا يَدْخُلُون الجنـة بغير حسـاب ولا عَذَابٍ » . ثم نهض فدخـل منـزلـه فخـاضَ الناسُ فى أولئـك ، فقـال بعضُهم فلعلهم الـذين صَحِبُـوا رسولَ الله ﷺ وقال بعضهم : فلعلهم الـذين وُلـدُوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا . وذكـرُوا أشيَـاء فخـرج عليهم رسـول الله ﷺ فأخبـروه فقال : « هم الذين لا يَسْتَرْقُونَ ولا يكْتَوُوْن ولا يَتَطَيَّرُوْن . وعلى ربهم يَتَوَكَّلُونَ » فقام عكاشة بن محصن فقال:ادع الله أن يَجْعَلَني منهم فقال : أنت منهم . ثم قام رجـل آخـر فقـال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال : سبقك بها عكاشة .

والمعاصى التى تكدر التوحيد وتمنع كماله ، وتعوقُه عن حصول آثاره .

فمَنْ حَقَّقَ توحيـدَه بأن امتلأ قلبُـه من الإيمان والتوحيد والإخلاص وصدقته الأعمال بأن انقادت لأوامر الله طائعة منيبة مخبتة إلى الله ولم يجرح ذلـك بالإصـرار على شيء من المعـاصى ، فهـذا الذى يدخل الجنة بغير حساب ويكون من السابقين إلى دخولها وإلى تبؤ المنازل منها .

ومن أخص ما يدل على تحقيقه،كمالُ القنوت لله وقوة التوكل على الله بحيث لا يلتفت القلب إلى المخلوقين فى شأن من شئونه ، ولا يستشرف إليهم بقلبـه ، ولا يسألهم بلسـان مقاله أو حاله ، بل يكون ظاهره وباطنه

فيـــه مســـائل

الأولى : معرفة مراتب الناس فى التوحيد .

الثانية : ما معنى تحقيقه .

الثالثة : ثناؤه سبحانه عل إبراهيم بكونه لم يك من المشركين .

الرابعة : ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك .

الخامسة : كون ترك الرقية والكى من تحقيق التوحيد .

السادسة : كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل .

السابعة : عمق علم الصحابة بمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل .

الثامنة : حرصهم على الخير .

التاسعة : فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية .

العاشرة : فضيلة أصحاب موسى .

الحادية عشرة : عرض الأمم عليه ، عليه الصلاة والسلام .

الثانية عشرة : أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها .

الثالثة عشرة : قلة من استجاب للأنبياء .

الرابعة عشرة : أن من لم يجبه أحد يأتى وحده .

الخامسة عشرة : ثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد فى القلة .

السادسة عشرة : الرخصة فى الرقية من العين والحمة .

السابعة عشرة : عمق علم السلف لقوله (قَدْ أَحْسَنَ مَن انتهى إلى مَا سَمِعَ ولكن كَذَا وَكَذَا) فَعُلِمَ أن الحديث الأول لا يخالف الثانى .

الثامنة عشرة : بُعْد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه .
التاسعة عشرة : قوله (أنت منهم) علم من أعلام النبوة .
العشـــرون : فضيلة عكاشة .
الحادية والعشرون : استعمال المعاريض .
الثانية والعشرون : حسن خلقه ﷺ .

بـــاب الخوف من الشرك

وقـول الله عز وجـل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(١) .

وقال الخليل عليه السلام : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾(٢) .

وأقـوالـه وأفعـالـه وحبُّه وبغضه ، وجميع أحواله كلها مقصودًا بها وجْهَ الله متبعًا فيها رسولَ الله .

والـنـاس فى هذا المقـام العظيم درجـات (وَلِكُـلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ) . وليس تحقيق التـوحيـد بالتمنى ولا بالـدعـاوى الخـاليـة من الحقـائق ، ولا بالحلى العـاطلة ، وإنـما ذلـك بما وقر فى القلوب من عقائد الإيمان وحقائق الإحسان وصدقته الأخلاق الجميلة ، والأعمال الصالحة الجليلة .

فمن حقق التـوحيـد على هذا الـوجـه حَصَلَتْ له جميـعُ الفضائل المشار إليها فى الباب السابق بأكملها والله أعلم .

---

(١) الآيتين ٤٨ ، ١١٦ : من سورة النساء .
(٢) من الآية ٣٥ : إبراهيم .

وفي الحـديث « أَخْـوَفُ مَا أَخَـافُ عَلَيْكُم الشِّـرْكَ الأَصْغرَ . فَسُئِلَ عنْهُ ؟ فقال : الرِّياءُ » .

وعن ابن مسعــود رضي الله عنــه : أَنَّ رسـولَ الله ﷺ قال : (منْ مَات وهو يَدْعُو من دُون الله نِدًّا دَخَلَ النَّار) . رواه البخارى .

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (منْ لقى الله لا يشركُ به شيئا دخل الجنَّة . ومنْ لقيهُ يشرك به شيئًا دخل النار) .

(بـاب الخـوف من الشـرك)

الشـركُ فى توحيـد الإلهيـة والعبـادة ينـافى التـوحيـدَ كُلَّ المنافاة وهو نوعان : شرك أكبر جلي ، وشرك أصغر خفي .

فأما الشرك الأكبر :

فهو أن يجعلَ لله نِدًّا يدعوه كما يدعو الله ، أو يخافه أو يرجوه أو يحبُّه كحبِّ الله ، أويصرف له نوعًا من أنواع العبادة ، فهذا الشرك لا يبقى مع صاحبه من التوحيد شىء ، وهذا المشرك الذى حرَّم الله عليه الجنة ومأواه النار .

ولا فرق فى هذا بين أن يُسمِّى تلك العبـادة التى صرفهـا لغـير الله عبـادة ، أويسميهـا توسُّـلاً ، أويسميهـا بغير ذلك من الأسماء فكل ذلك شرك أكبر لأنَّ العبرة بحقائق الأشياء ومعانيها دون ألفاظها وعباراتها .

وأما الشرك الأصغر :

فهـو جميـع الأقـوال والأفعـال التى يُتَوَسَّل بها إلى الشرك كالغُلُوِّ فى المخلوق الذى لا يبلغ رتبة العبادة كالحلف بغير الله ويسيرِ الرياء ونحو ذلك .

فيـــه مســائل

الأولى : الخوف من الشرك .

الثانية : أن الرياء من الشرك .

الثالثة : أنه من الشرك الأصغر .

الرابعة : أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين .

الخامسة : قرب الجنة والنار .

السادسة : الجمع بين قربهما فى حديث واحد .

السـابعـة : أنـه من لقيه لا يشركُ به شيئًا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار ولو كان من أعبد الناس .

الثامنــة : المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقايةَ عبادةِ الأصنام .

التـاسعـة : اعتبـاره بحال الأكثر لقوله : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1].

العاشرة : فيه تفسير (لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللهُ) كما ذكر البخارى .

الحادية عشرة : فضيلة مَنْ سَلِمَ من الشرك .

فإذا كان الشـرك ينـافى التـوحيـدَ ويـوجبُ دخولَ النار والخلودَ فيها وحـرمـانَ الجنة إذا كان أكبر ولا تتحقق السعادة إلا بالسلامة منه،كان حقًّا على العبـد أن يخاف منـه أعظم خوف وأن يسعى فى الفـرار منه ومن طرقه ووسـائله وأسبـابـه ويسأل الله العـافية منه كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء وخيارُ الخلق .

---

(١) من الاية ٣٦ : إبراهيم .

باب الدَّعوة إلى شهادة أن لَا إلٰه إلّا الله

وقـول الله تعـالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ — الآية ﴾[1].

عن ابن عباس رضى الله عنهما (أَنَّ رسُولَ الله ﷺ لما بَعَث مُعاذاً إلى اليمن قال له : إنـك تأتي قومًا منْ أهل الكتاب . فَلْيَكنْ أَوَّلَ ما تدْعُوهُم إليه شهادةُ أن لا إله إلّا الله) .

وعلى العبـد أن يجتهـد فى تنمية الإخلاص فى قلبه وتقويته ، وذلك بكمال التعلق بالله تَأَلُّهاً وإنابة وخوفاً ورجاءً وطمَعاً وقصداً لمرضاته وثوابه فى كل ما يفعله العبد وما يتركه من الأمور الظاهرة والباطنة ، فإن الإخلاص بطبيعتـه يدفـع الشـرك الأكـبر والأصغـر،وكُلُّ مَنْ وقَعَ منه نوع من الشرك فلضعفِ إخلاصه .

(باب الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله)

وهذا الترتيب الذى صنعه المؤلف فى هذه الأبواب فى غاية المناسبة فإنـه ذكـر فى الأبواب السابقة وجوبَ التوحيد وفضله ، والحث عليه وعلى تكميله ، والتحقق به ظاهرًا وباطنًا ، والخوف من ضده ، وبذلك يكمل العبدُ نفسَه .

ثم ذكر فى هذا الباب تكميلَهُ لغيره بالدَّعْوة إلى شهادة (أن لا إله إلا الله) فإنـه لا يتم التـوحيـدُ حتى يكمل العبد جميع مراتبه ثم يسعى فى تكميـل غيره — وهـذا هو طريق جميـع الأنبيـاء — فإنهم أول ما يدعـون

---

(١) الآية ١٠٨ : يوسف .

وفي روايـة : (إِلى أن يُوحِّـدُوا الله ـ فَإِنْ هُمْ أطـاعُوك لذلك فأَعلِمْهم أن الله افتَـرَض عليهم خمسَ صَلَوَات في كلِّ يَوْمٍ وليلة ، فإن هُمْ أطاعوك لذلك فأعلِمْهم أن الله افترض عليهم صدقةً تُؤْخذُ من أغنيـائهم فَتُـرَدُّ على فُقـرائهم . فإن هم أطـاعـوك لذلـك فإيَّـاك وكـرائم أمـوالهم . واتَّق دعْـوَةَ المظْلُوم . فإنـه ليس بينهـا وبين الله حجاب) أخرجاه .

ولهُمَـا عن سَهْـل بن سَعْـد رَضِيَ الله عنه : أن رسولَ الله ﷺ قال يوم خيبـر (لَأُعْطِيَنَّ الـرَّاية غدًا رَجُلًا يُحبُّ اللَّهَ ورَسُولَه . ويحبه اللهُ ورسولهُ ، يفتحُ الله على يدَيْهِ . فبات الناسُ يَدُوكُون ليلَتَهُم . أيهُمْ يُعْطاهَا . فلما أصبَحُوا غَدَوْا علىٰ رسولِ الله ﷺ كلهُم يرجو أن يُعْطَـاهَـا . فقـال : أيْنَ علي بن أبي طالب ؟ فقيـل : هو يشتكى عَيْنَيْه . فأرْسَلُوا إليه فأُتِىَ بِهِ فبصق فى عَيْنَيْه ودَعَا له . . .

قومهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وهى طريقة سيدهم وإمامهم ﷺ لأنـه قام بهذه الـدعـوة أعظم قيـام ودعـا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن — لم يفتر ولم يضعف حتى أقام الله به الـدين وهـدى به الخلق العظيم ، ووصـل دينـه ببركة دعوته إلى مشارق الأرض ومغاربها — وكان يدعو بنفسه ويأمر رسله وأتباعه أن يدعوا إلى الله وإلى توحيـده قبـل كل شىء لأن جميـع الأعـمال متوقفة فى صحتها وقبولها على التوحيد .

فكـما أن على العبـد أن يقـومَ بتوحيد الله فعليه أن يدعوَ العباد إلى الله بالتى هىَ أحسن — وكل من اهتدى على يديه فله مثل أجورهم من غير أن ينقصَ من أجورهم شىء .

فبَرِىء كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الرايةَ : فقال : انفذْ على رِسلِكَ ، حتى تنزل بسَاحتهم ، ثم أدعُهُم إلى الإسْلام . وأخْبِرْهُم بمَا يجبُ عليهم مِنْ حَق الله تعَالى فيه فوالله لأن يهْدِىَ الله بك رَجُلًا وَاحِدًا خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَمِ) يَدُوكُون : أى يخوضون .

فيـــه مســائل

الأولى : أن الدّعوة إلى الله طريق من اتبع رسولَ الله ﷺ .

الثانية : التنبيه على الإخلاص ؟ لأن كثيرًا من الناس لو دَعَا إلى الحق فهو يَدْعُو إلى نفسه .

الثالثة : أن البصيرة من الفرائض .

الرابعة : مِنْ دلائل حُسْنِ التوحيد كونه تنزيهًا لِله تَعَالىٰ عن المَسَبَّةِ .

الخامسة : أن مِنْ قُبْحِ الشرك كونه مَسَبَّةً لله .

السادسة : وهى من أهمها إبعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لم يشرك .

السابعة : كون التوحيد أول واجب .

الثامنة : أنه يَبْدأ به قبل كل شىءٍ حتى الصلاة .

التاسعة : أن مَعْنَى (أن يُوَحِّدُوا الله) معنى شهادة أن لَّا إِلَهَ إلا الله .

العاشرة : أن الإنسَان قد يَكون مِنْ أهْلِ الكتاب وهو لا يعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها .

الحادية عشرة : التنبيه على التعليم بالتدريج .

الثانية عشرة : البداءة بالأهَمِّ فالأهَمِّ .
الثالثة عشرة : مَصْرِفُ الزكاة .
الرابعة عشرة : كشفُ العالِمِ الشبهة عن المتعلم .
الخامسة عشرة : النَّهْيُ عَنْ كرائِمِ الأموال .
السادسة عشرة : اتقاء دَعْوَةِ المظلوم .
السابعة عشرة : الإخبارُ بأنَّها لا تُحْجَبُ .
الثامنة عشرة : مِن أدلة التوحيد ما جَرَى عَلَى سَيِّد المرسلين . وسَادَات الأولياءِ منَ المشقة والجُوع والوباء .
التاسعة عشرة : قوله (لأعْطِيَنَّ الرَّايَةَ) الخ . علم من أعلام النبوة .
العشــــرون : تفله فى عينيه علم من أعلامها أيضا .
الحادية والعشرون : فضيلة عَلِيٍّ رضِىَ الله عنه .
الثـانيـة والعشـرون : فضـل الصَّحَـابة فى دَوْكِهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وشغلهم عَنْ بشارة الفتح .
الثـالثـة والعشـرون : الإيمانُ بالقَدَرِ ، لحصُولها لِمن لم يَسْعَ لَهَا وَمَنْعِهَا عَمَّن سَعَىٰ .
الرابعة والعشرون : الأدبُ فى قوله على رسلك .
الخامسة والعشرون : الدَّعْوة إلى الإسلام قبل القتال .

وإذا كانت الـدَّعـوة إلى الله ، وإلى شهـادة أن لا إلـه إلا الله فرضًا على كل أحد . كان الواجب على كل أحد بحسب مقدوره .

فعلى العالم من بيان ذلك والدعوة والإرشاد والهداية أعظم مما على غيره ممن ليس بعالم .

السادسة والعشرون : أنهُ مَشرُوع لمن دُعُوا قبل ذلك وقوتلوا .

السابعة والعشرون : الدَّعْوة بالحكمة لقوله (أَخْبِرْهُم بِمَا يَجِبُ) .

الثامنة والعشرون : المعرفة بحَقِّ اللهِ فِي الإسْلَام .

التاسعة والعشرون : ثوابُ مَن اهْتَدَى عَلَى يَدَيْه رَجُلٌ وَاحِد .

الثــلاثـــون : الْحَلِفُ عَلَى الفتيا .

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقـول الله تعـالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ الآية .[1].

وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ الآية .[2].

وعلى القـادر ببـدنـه ويـده أو مَاله أو جاهِهِ وقوله أعظم مما على من ليست له تلك القدرة .

قال تعـالى ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ ورحم الله من أعـان على الدين ولو بشطر كلمة — وإنما الهلاك فى ترك ما يقدر عليه العبدُ من الدَّعوة إلى هذا الدين .

---

(١) الآية ٥٧ : الاسراء .

(٢) الآيات ٢٦، ٢٧، ٢٨ : الزخرف .

وقوله : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية .[1].

وقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ الآية[2].

وفي الصَّحيح عن النبي ﷺ أنه قال : (مَنْ قَالَ لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وكفرَ بمَا يُعْبَدُ مِن دُون الله حرُم ما لُهُ ودمُهُ ، وحِسَابه عَلى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ) .

(باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله)

هما بمعنىً واحد ، فهو من باب عطف المترادفين..

وهذه المسألة أكبر المسائل وأهمها كما قال المصنف رحمه الله .

وحقيقة تفسير التوحيد : العلم والاعتراف بتفرُّد الرب بجميع صِفَاتِ الكمال وإخلاص العِبَادة له .

وذلك يرجع إلى أمرين : نفى الأُلوهة كلها عن غير الله ، بأن يعلم ويعتقد أن لا يستحق الإلهٰية ولا شيئا من العبودية أحد من الخلق لا نبى مرسل ولا ملك مقرب ولا غيرهما ، وأنه ليس لأحد من الخلق فى ذلك حظ ولا نصيب .

والأمر الثانى : إثبات الألوهية لله تعالى وحده لا شريك له وتفرده بمعانى الألوهية كلها وهى نعوت الكمال كلها ، ولا يكفى هذا الاعتقاد وحده حتى يحققه العبد بإخلاص كلمة الدين لله فيقوم بالإسلام والإيمان والإحسان وبحقوق الله وحقوق خلقه قاصدًا بذلك وجه الله وطالبا رضوانه وثوابه .

(١) من الآية ٣١ : التوبة .　　(٢) الآية ١٦٥ : البقرة .

وشرح هذه الترجمة ما بَعْدَهَا مِنَ الأبواب .

فيه أكبر المسائل وأهمها —

وهى تفسير التوحيد — وتفسير الشهادة

وبَيَّنَهُمَا بأمُورٍ وَاضِحَة —

مِنْهَا آية الإِسْراء . بَيَّن فيهَا الرد عَلَى المشركِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الصَّالحين،ففيها بيان أَنَّ هَذا هُوَ الشرك الأكبر .

ومنها آيَة براءة بَيَّن فيها أَنَّ أهْلَ الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله .

وبَيَّن أنهم لم يُؤمَرُوا إِلَّا بِأَن يَعْبُدُوا إلهاً واحدًا مع أَنَّ تفسيرها الذى لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد فى المعصية ، لادُعَاءَهُمْ إيَّاهُمْ .

ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ فاستثنى مِنَ المعبودين رَبَّه .

وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهَذه الموالاة هى تفسير شهادة أن لا إله إلا الله فقال (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) .

ويعلم أن من تمام تفسيرها وتحقيقها البراءة من عبادة غير الله ، وأن اتخاذ أنداد يحبهم كحب الله أويطيعهم كطاعة الله أويعمل لهم كما يعمل لله ينافى معنى: لا إلٰه إلا الله أشدَّ المنافاة .

وبين المصنف رحمه الله أَنَّ مِنْ أعظم ما يُبَيِّنُ معنى لا إله إلا الله قوله ﷺ من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعْبَدُ من دُون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله . فلم يجعل مجرد التلفظ بها عاصمًا للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله

ومنهـا آيـة البقـرة فى الكفـار الـذينَ قال الله فيهم ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ ذكر أنهم يحبون أنْدَادَهم كحب الله ، فَدَل على أنهم يحبُّون الله حُبًّا عظيـمًا ، ولم يدخلهم فى الإسلام ، فكيف بمن أَحبَّ النِـدَّ أكـبرَ مِنْ حُبِّ الله؟، وكيف بمَنْ لم يحب إلا النِدَّ وَحْدَه ولم يحب الله؟.

ومنهـا قولـه ﷺ (مَنْ قال لا إلـه إلا الله وكفر بما يُعْبدُ من دون الله حرم ماله ودمه وحسَابه على الله) .

وهذا مِنْ أَعْظَمِ مَا يُبيِّنُ مَعْنَى ـ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ـ فَإنّه لم يَجْعَل التلفـظ بهَا عَاصِمًا للدم والمال ، بل ولا معرفة معْنَاهَا مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذَلك ، بل ولا كونه لا يَدْعُو إلاَّ الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم مالـه ودمـه حتى يضيفَ إلى ذلـك الكفرَ بمَا يُعْبَدُ مِن دُون الله ، فَإن شك أو توقَّفَ لم يحرم مالـه ولا دمـه ، فيـالهَـا من مسألـة ما أعظمها وأجلها ، ويا له من بيان ما أوضحه ، وحجة ما أقطعها للمنازع .

وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ولا دمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه .

فتبين بذلـك أنـه لابد من اعتقاد وجوب عبادة الله وحده لا شريك له ، ومن الإقرار بذلك اعتقادًا ونطقا ، ولابد من القيام بعبودة الله وحده طاعة لله وانقيادًا ، ولابد من البراءة مما ينافى ذلك عقدًا وقولًا وفعلاً .

ولا يتم ذلك إلا بمحبة القائمين بتوحيد الله وموالاتهم ونصرتهم .

باب من الشرْك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقــول الله تعـالى ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ الآية[1].

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه أن النبي ﷺ رأى رَجُلًا فى يده حلقة من صفر فقال : ما هذه ؟ قال : مِنَ الوَاهِنَةِ . فقال : انزعها فإنَّهَا لا تزيدُك إلاَّ وَهنًا . فَإِنك لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ ما أفْلحْت أبدًا) رواه أحمد بسند لا بأس به .

وبغض أهــل الكفـر والشـرك ومعـاداتهم ، لا تغنى فى هذا المقـام الألفـاظ المجـردة ولا الـدعـاوى الخـالية من الحقيقة ، بل لابد أن يتطابق العلم والاعتقـاد والقـول والعمـل ، فإن هذه الأشيـاء متلازمة متى تخلف واحد منها تخلفت البقية والله أعلم .

(باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه)

وهذا الباب يتوقف فهمه على معرفة أحكام الأسباب .

وتفصيل القول فيها:أنه يجب على العبد أن يعرفَ فى الأسباب ثلاثة أمور :

أحدها : أن لا يجعل منها سببًا إلا ما ثبت أنه سبب شرعًا أو قدرًا .

---

(١) من الآية ٣٨ : الزمر .

ولـه عن عقبـة بن عامـر مرفـوعًا « مَنْ تَعَلَّق تَمِيمَةً فَلَا أتمَّ اللَّهُ لهُ ، ومن تَعَلَّق ودَعَةً فلا ودع اللَّهُ له » .

وفى رواية « مَنْ تَعَلَّق تِمِيمَة فقد أشْرَكَ » .

ولابن أبى حاتم عن حذيفـة أنـه رأى رجـلا فى يده خيـط من الحمى فقطعه وتلا قوله ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِٱللهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[1] .

ثانيهـا : أن لا يعتمـد العبدُ عليها بل يعتمد على مسببها ومقدرها مع قيامه بالمشروع منها وحرصه على النافع منها .

ثالثها : أن يَعْلَمَ أن الأسبابَ مَهْمَا عظمَت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقـدَرِه لا خروج لها عَنْـه : والله تعَـالى يتصرف فيها كيف يشاء . إن شاء أبقى سببيتهـا جاريـة على مقتضىٰ حكمتـه ليقوم بها العبادُ ويعرفوا بذلك تمام حكمتـه حيث رَبَـط المسببـات بأسبَـابها والمعلولات بعِلَلِهَا ، وإن شاء غيرَهـا كيف يشـاء لئـلا يعتمـد عليهـا العبـاد وليعلموا كمال قدرته ، وان التصـرف المطلق والإرادة المطلقـة لله وَحْدَهُ ، فَهَذا هو الواجب على العبد فى نظره وعمله بجميع الأسباب .

إذا علم ذلـك فمن لبس الحلقـة أو الخيـط أو نحوهما قاصداً بذلك رفع البلاء بعد نزوله ، أو دفعه قبل نزوله فقد أشرك ، لأنه إن اعتقد أنها هى الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر .

وهو شرك فى الربوبية حيث اعتقد شريكًا مع الله فى الخلق والتدبير .

---

(١) آية ١٠٦ : يوسف .

فيـــــه مسـائل

الأولى : التغليظ فى لبْس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك .

الثانية : أن الصَّحابى لو مات وَهِيَ عليه ما أفلح . فيه شاهد لكلام الصحابة أنَّ الشِّرْك الأصْغر أكْبَرُ مِن الكبائر .

الثالثة : أنه لم يُعْذَرْ بالجهالة .

الرابعة : أنها لا تنفع فى العَاجِلَةِ بَلْ تضر ، لقوله (لا تزيدكَ إلا وهنا) .

الخامسة : الإنكار بالتغليظ على مَنْ فعل مثل ذلك .

السادسة : التّصْريح بأنّ مَنْ تعلّق شيئًا وُكل إليه .

السابعة : التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك .

الثامنة : أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك .

التاسعة : تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيـات التى فى الشـرْك الأكْبَر عَلى الأصْغر ، كما ذكر ابن عباس فى آية البقرة .

وشـرك فى العبـوديَّة حَيْث تألَّـهَ لذلـك وعَلَّق به قلبَه طمَعًا ورَجَاءً لنفعـه . وإن اعتقـد أن الله هو الـدافـع الـرافع وحده ولكن اعتقدها سببا يستـدفـع بها البـلاء فقـد جعل ما ليس سببا شرعيًّا ولا قدريًّا سببًا ، وهذا مُحَرَّمٌ وكذِبَ على الشرع وعلى القدر .

أما الشرع فإنه ينهى عن ذلك أشدَّ النهى . وما نهى عنه فليس من الأسباب النافعة .

وأمـا القـدر فليس هذا من الأسبـاب المعهودة ولا غير المعهودة التى يحصلُ بها المقصود ، ولا من الأدْوية المباحة النافعة . وكذلك هو من جملة

العاشرة : أن تعليقَ الودَع من العين من ذلك .

الحادية عشرة : الدعاء على من تعلق تميمةً أن الله لا يتم له ، ومن تعلق وَدَعَةً فلا وَدَعَ اللهُ له . أى ترك الله له .

باب ما جاء فى الرقى والتمائم

فى الصحيح : عن أبي بشير الأنصاريِّ رضىَ الله عنه : (أنه كان مَعَ رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره ، فأرْسَلَ رَسُولًا أن لا يَبْقَيَنَّ فى رقبةِ بَعِيرٍ قِلَادةٌ مِنْ وَتَرٍأو قلادةٌ إلا قُطِعَتْ) .

وسائل الشرك فإنه لابد أن يتعلق قلب متعلّقها بها ، وذلك نوع شرك ووسيلة إليه .

فإذا كانت هذه الأمور ليست من الأسباب الشرعية التى شرعها على لسان نبيه التى يتوسل بها إلى رضاء الله وثوابه ، ولا من الأسباب القدرية التى قد علم أو جرب نفعها مثل الأدوية المباحة كان المتعلق بها متعلقا قلبه بها راجيًا لنفعها ، فيتعين على المؤمن تركها ليتم إيمانه وتوحيده فإنه لو تم توحيدهُ لم يتعلق قلبه بما ينافيه ، وذلك أيضا نقصٌ فى العقل حيث تعلق بغير متعلق ولا نافع بوجه من الوجوه ، بل هو ضرر محض .

والشرع مَبْنَاهُ على تكميل أديان الخلق بنَبْذِ الوثنيات والتعلق بالمخلوقين ، وعلى تكميل عقولهم بنبذ الخرافات والخزعبلات ، والجد فى الأمور النافعة المرقِّيَة لِلعقول ، المزكِّيَة للنفوس . المصْلِحَة للأحوال كلها دينيها ودنيويها والله أعلم .

وعن ابن مسعـود رضي الله عنـه قال : سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول : « إن الرُّقَىَ والتَّمَائمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ » رواه أحمد وأبو داود .

وعن عبـد الله بن عكيم مرفـوعًا : « مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْه » رواه أحمد والترمذي .

« التـمائم شئ يُعَلَّق على الأولادِ يَتَّقُونَ به من العين . ولكن إذا كان المعَلَّقُ من القـرآن فَرَخَّصَ فِيـهِ بعضُ السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهى عنه ، منهم ابن مسعود رضى الله عنه . « والرُّقَىَ » هى التى تُسَمَّى العَزَائِم ، وخَصَّ مِنْهَا الدَّليلُ مَا خَلاَ مِنَ الشرك فقد رَخَّصَ فيه رسُولُ الله ﷺ من العين والحمة .

(باب ما جاء فى الرقى التمائم)

أمـا التـمائم فهى تعـاليق تتعلق بها قلوبُ متعلقيهـا ، والقـول فيها كالقول فى الحلقة والخيط كما تقدم .

فمنهـا ما هو شرك أكـبر ، كالتى تشتمل على الاستغاثة بالشياطين أوغيرهم من المخلوقـين . فالاستغـاثـة بغـير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك كما سيأتى ان شاء الله .

ومنها ما هو محرم كالتى فيها أسماء لا يفهم معناها لانها تجر إلى الشرك .

وأما التعاليق التى فيها قرآن أو أحاديث نبوية أو أدعية طيبة محترمة فالأولى تركهـا لعـدم وُرُودهـا عن الشارع ، ولكونها يتوسل بها إلى غيرها من المحـرم ، ولأن الغـالـب على متعلقهـا أنـه لا يحترمهـا ويـدخـل فيها المواضع القذرة . أما الرقى ففيها تفصيل :

و « التِّوَلـة » هي شئ يَصْنعُـونـه يَزْعُمُون أنه يُحَبِّبُ المرأة إلى زوجها والرجلَ إلى ٱمرأتِهِ .

وروى أحمـد عن رُويفـع قال : قَالَ لي رسُولُ الله ﷺ : « يا رُوَيْفِع لَعَلّ الحَيَاةَ سَتَطُول بِكَ فأخْبِرْ النّاسَ أنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أوْتَقَلَّدَ وَتَرًا أو استنجى برجيع دآبة أو عظم فَإن مُحمَّدًا برِيءٌ مِّنه » .

وعن سعيد بن جبير قال :

« مَنْ قطع تَمِيمَةَ إنْسَانٍ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ » رواه وكيع .

وله عَنْ إبراهيم قال :

كانوا يكرَهُونَ التمائمَ كلَّها مِنَ ٱلقرآن وغير القرآن .

فان كانت من القرآن أو السنة أو الكلام الحسن فإنها مندوبة فى حق الراقى لأنها من باب الإحسان ، ولما فيها من النفع ، وهى جائزة فى حق المرقى إلا أنـه لا ينبغى له أن يبتـدىء بطلبهـا ، فإن من كمال توكل العبد وقـوة يقينـه أن لا يسأل أحـدًا من الخلق لا رقية ولا غيرها ، بل ينبغى إذا سأل أحـدًا أن يدعـو له أن يلحـظ مصلحة الداعى والإحسان إليه بتسببه لهذه العبودية له مع مصلحة نفسه ، وهذا من أسرار تحقيق التوحيد ومعانيه البديعة التى لا يوفق للتفقه فيها والعمل بها إلا الكُمَّل من العباد .

وإن كانت الـرقيـة يدعى بها غير الله ويطلب الشفاء من غيره فهذا هو الشرك الأكبر لأنه دعاء واستغاثة بغير الله .

فافهم هذا التفصيل ، وإياك أن تحكم على الرقى بحكم واحد مع تفاوتها فى أسبابها وغاياتها .

فيـــه مســـائل

الأولى : تفسير الرقى والتمائم .

الثانية : تفسير التوْلة .

الثالثة : أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء .

الرابعة : أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك .

الخامسة : أن التميمة إذا كانت من القرآن ، فقد اختلف العلماء هل هى من ذلك أم لا ؟

السادسة : أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك .

السابعة : الوعيد الشديد على مَنْ علّق وَتَرًا .

الثامنة : فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان .

التاسعة : أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود .

باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ الآيات [1].

عن أبى واقد الليثى قال : « خرجْنا مع رسول ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ! وللمشركين سِدرَة يعكفون عندها وَيَنوُطُون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ! فمرَرْنا بسدرة فقلنا : يا رسول

(١) الآيات ١٩ ـ ٢٢ من سورة النجم .

الله اجعـلْ لنـا ذات أنواط ! كمَا لهم ذات أنوط . فقال ﷺ : « اللَّهُ أَكْبَـر إنهَـا السُّنَن قُلْتم ـ والـذي نفسي بيَـدِه ـ كمَا قالت بَنُو إسرائيل لمْوسى : ﴿ اجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾(١) لَتركَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » رواه الترمذي وصححه .

فيــــه مســـائل

الأولى : تفسير آية النجم .

الثانية : معرفة صورة الأمر الذى طلبوا .

(باب من تبرَّك بشجر أو حجر ونحوهما)

أى فإن ذلك من الشرك ، ومن أعمال المشركين ، فإن العلماء اتفقوا على أنـه لا يشـرع التـبرك بشىء من الأشجار والأحجار والبقع والمشاهد وغيرها . فإن هذا التبرك غُلُوٌّ فيها وذلك يتدرج به إلى دعائها وعبادتها ، وهذا هو الشرك الأكبر كما تقدم انطباق الحد عليه ، وهذا عام فى كل شىء حتى مقـام إبـراهيم وحجـرة النبى ﷺ وصخـرة بيت المقـدس وغيرها من البقع الفاضلة .

وأما استلام الحجر الأسود وتقبيله واستلام الركن اليمانى من الكعبة المشرفة فهذا عبودية لله وتعظيم لله وخضوع لعظمته فهو روح التعبد .

فهذا تعظيمٌ للخالق وتعبدٌ له ، وذلك تعظيم للمخلوق وتأله له .

فالفـرق بين الأمـرين كالفـرق بين الـدعـاء لله الـذى هو إخلاص وتوحيد ، والدعاء للمخلوق الذى هو شرك وتنديد .

---

(١) من الاية ١٣٨ : الأعراف .

الثالثة : كونهم لم يفعلوا .

الرابعة : كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه .

الخامسة : أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل .

السادسة : أنَّ لهم مِنَ الحسنات والوَعْدِ بالمغفرة ما ليس لغيرهم .

السابعة : أن النبي ﷺ لم يَعْذُرْهم ! بل رَدَّ عليهم بقوله : « الله أكبر إنها السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم » فغلظ الأمر بهذه الثلاث .

الثامنة : الأمر الكبير وهو المقصود أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى اجعل لنا إلها .

التاسعة : أن نفي هذا من معنى (لا إله إلا الله) مع وقته وخفائه على أولئك .

العاشرة : أنه حَلَفَ على الفتيا وهو لا يحلف إلَّا لمصلحة .

الحادية عشرة : أن الشرك فيه أكبر وأصغر ، لأنهم لم يرتدوا بهذا .

الثانية عشرة : قوله (ونحن حدثاء عهد بكفر) فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك .

الثالثة عشرة : التكبير عند التعجب خلافاً لمن كرهه .

الرابعة عشرة : سد الذرائع .

الخامسة عشرة : النَّهْيُ عن التشبه بأهل الجاهلية .

السادسة عشرة : الغَضَبُ عند التعليم .

السابعة عشرة : القاعدة الكلية . لقوله (إنها السنن) .

الثامنة عشرة : أن هذا علم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر .

التاسعة عشرة : أن كلَّ ما ذَمَّ الله به اليهودَ والنصارى فى القرآن انه لنا .

العشرون : أنه مقرر عندهم أن العبادات مَبْنَاها على الأمر فصار فيه التنبيه على مسائل القبر أما من ربك فواضح وأما من اخباره بأنباء الغيب ، وأما ما دينك فمن قولهم (اجعل لنا إلها الخ) .

الحادية والعشرون : أن سُنةَ أهلِ الكتاب مذمومة كسنة المشركين .

الثانية والعشرون : أن المنتقلَ مِنَ الباطل الذى اعتاده قلبُه لا يُؤْمَنُ أن يكون فى قلبه بقيةٌ من تلك العادة ، لقولهم (ونحْنُ حُدثاءُ عهْد بكفر) .

باب ما جاء فى الذبح لغير الله

وقول الله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ الآية[1].

وقوله ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[2].

عن عَلِيٍّ رضي الله عنه قال : « حدثني رسولُ الله ﷺ بأربع كلمات : لَعَنَ اللَّهُ منْ ذَبَح لِغَيْرِ اللَّه ، لَعَنَ اللَّه مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ ،

(١) الآية ١٦٢ وبعض الآية ١٦٣ : الانعام .

(٢) الآية ٢ : الكوثر .

لَعَنَ ٱللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا ، لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ منار الأرض » رواه مسلم .

وعن طارق بن شهاب أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قال : « دَخَلَ الجنَّةَ رجُلٌ فى ذباب ، ودخل النارَ رَجُلٌ فى ذباب . قالوا كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : مرَّ رجُلان عَلىٰ قَوْم لهم صَنَمٌ لا يجُوزه أحدٌ حتَّى يقرِّب له شيئًا ، فقالوا لِأَحَدِهِمَا قرِّب فقال ليس عندي شيء أُقَرِّبُ قالوا له : قرِّب ولو ذُبَابًا ، فقرَّبَ ذُبابًا ، فَخَلَّوْا سبيلَه فَدَخَل النَّارَ وقالوا للآخر : قَرِّب . فقال : ما كنتُ لِأُقرِّبَ لأحدٍ شيئًا دون الله عز وجل ، فضَرَبُوا عنقَه فدخلَ الجَنَّةَ » رواه أحمد .

(باب ما جاء فى الذبح لغير الله)

أى أنه شرك ، فإن نصوص الكتاب والسنة صريحة فى الأمر بالذبح لله ، وإخلاص ذلك لوجهه ، كما هى صريحة بذلك فى الصلاة فقد قرن الله الذبح بالصلاة فى عدة مواضع من كتابه .

وإذا ثبت أَن الذبح لله مِنْ أَجَلِّ العِبادات وأكبر الطاعات ، فالذبح لغير الله شرك أكبر مُخرِجٌ عن دَائرة الإسلام .

فإن حَدَّ الشرْك الأكبر وتفسيره الذى يجمع أنواعه وأفراده .

(أنْ يَصْرِفَ العَبْدُ نَوْعاً أوْ فَرِدًا مِنْ أفْرادِ العِبَادَةِ لِغَيْرِ ٱلله)

فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمورٌ به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان واخلاص ، وصرفه لغيره شرك وكفر .

فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذى لا يشذ عنه شىء .

كما أن حد الشرك الأصغر هو .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ﴾ .

الثانية : تفسير ﴿فصلّ لربّك وآنحرْ﴾ .

الثالثة : البداءة بلعنة من ذبح لغير الله .

الـرابعـة : لَعْن من لعن والدَيْهِ ، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك .

الخامسة : لَعْن من آوى مُحْدِثًا . وهو الرجل يحدث شيئًا يجب فيه حق الله ، فيلتجىء إلى من يجيره من ذلك .

الســادســة : لعْن من غير مَنَـارَ الأرض ، وهى المـراسيم التى تفرق بين حقك وحق جارك من الأرض . فتغيرها بتقديم أو تأخير .

الســابعــة : الفـرق بين لعن المعـين ولعن أهـل المعاصي على سبيل العموم .

الثامنة : هذه القصة العظيمة ، وهى قصة الذباب .

التاسعة : كونه دَخَل النَّار بسبب ذلك الذباب الذى لم يقصده بل فعله تخلّصًا من شرِّهم .

العـاشـرة : معـرفة قدر الشرك فى قلوب المؤمنين ، كيف صبر

(كُلُّ وَسيلَةٍ وذريعـةٍ يُتَطَـرَّقُ مِنْهَـا إلَى الشرْكِ الأكبرِ مِنَ الإرادات والأقْوالِ والأفعَال التي لم تَبْلغ رُتْبة العِبَادَةِ) .

فعليـك بهذين الضـابطين للشركِ الأكبر والأصغر ، فإنه مما يعينك على فهم الأبـواب السـابقـة واللاحقة من هذا الكتاب ، وبه يحصل لك الفرقان بين الأمور التى يكثر اشتباهها والله المستعان .

ذلـك على القتـل ولم يوافقهم على طلبتهم ، مع كونهم لم يطلبُوا إلا العمل الظاهر .

الحادية عشرة : أن الذى دَخَل النارَ مسلم ، لانه لو كان كافرًا لم يقل دخل النار فى ذباب .

الثانية عشرة : فيه شاهد للحديث الصحيح « الجنة أقربُ إلى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك » .

الثالثة عشرة : معرفة أن عمل القلبِ هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأصنام .

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ الآية[1] .

وعن ثابت بن الضحَّـاك رضى الله عنـه قال : « نَذَرَ رجـلٌ أن ينحر إبلًا ببوانه ، فسأل النبي ﷺ فقال : هَلْ كان فيها وَثَنٌ مِنْ أوثان

(باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله)

ما أحسن إتبـاع هذا البـاب بالبـاب الـذى قبله فالـذى قبله من المقـاصـد ، وهـذا من الـوسائل ، ذاك من باب الشرك الأكبر ، وهذا من وسـائـل الشـرك القريبة فإن المكان الذى يذبح فيه المشركون لآلهتهم تقربًا إليهـا وشـركـا بالله قد صار مَشْعَرًا من مشاعر الشرك ، فإذا ذبح فيه المسلم ذبيحةً ولو قصدها لله فقد تشبه بالمشركين وشاركهم فى مشعرهم ، والموافقة الظاهرة تدعو إلى الموافقة الباطنة والميل إليهم .

---

(١) صدر الآية ١٠٨ : التوبة .

الجَـاهِلِيّـة يُعْبَـد ؟ قالـوا : لَا . قال : فهـل كان فيهـا عيـدٌ من أعيَادهم ؟ قالـوا : لا . فقال رسولُ الله ﷺ : أَوْفِ بِنَذْرِك ، فإنه لا وَفَـاء لنَـذْر فى معصيَـة الله ولا فيمَـا لا يَمْلكُ ابنُ آدم » رواه أبـو داود واسناده على شرطهما .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير قوله ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ .
الثانية : أن المعصية قد تُؤثّر فى الأرض ، وكذلك الطاعة .
الثالثة : رد المسْألة المشكلة إلى المسألة البينة ليزول الإشكال .
الرابعة : استفصال المفْتى إذا احتاج إلى ذلك .
الخامسة : أن تخصيصَ البقعةِ بالنذر لا بَأسَ به إذا خَلَا من الموانع .
السادسة : المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله .
السابعة : المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله .

ومن هذا السبب نهى الشارع عن مشابهة الكفار فى شعارهم وأعيادهم وهيئاتهم ولباسهم وجميع ما يختص بهم إبعَادًا للمسلمين عن الموافقة لهم فى الظاهر التى هى وسيلة قريبة للميل والركون إليهم ، حتى أنه نهى عن الصلاة النافلة فى أوقات النهى التى يسجد المشركون فيها لغير الله خوفاً من التشبه المحذور .

الثامنة : أنه لا يَجُوز الوفاء بها نذر فى تلك البقعة لأنه معصية .

التاسعة : الحذر من مشابهة المشركين فى أعيادهم ، ولو لم يقصده .

العاشرة : لا نَذْرَ فى مَعْصِية .

الحادية عشرة : لا نَذْرَ لابن آدمَ فيمَا لا يمْلك .

باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾[1] .

وقوله ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾[2] .

وفى الصَّحيـح عنْ عَائشـةَ رَضِىَ الله عنْهـا أن رَسُـولَ الله ﷺ قال : « مَنْ نَذَرَ أن يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ ، وَمَن نَّذَرَ أن يَعْصِىَ اللَّه فلاَ يعْصِه » .

فيـــه مســائل

الأولى : وجوبُ الوفاء بالنذر .

الثانية : إذا ثبتَ كونه عِبَادة لله فَصَرْفُهُ إلى غيره شرك .

الثالثة : أنَّ نذْر المعصية لا يجوز الوفاء به .

(١) صدر الاية ٧ : الانسان .

(٢) صدر الآية ٢٧٠ : البقرة .

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾[1] .

وعن خولة بنت حكيم رضيَ الله عَنْها قالت : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ : مَنْ نَزَلَ منزلاً ، فقال أعوذُ بكلمَاتِ الله التَّامَّاتِ من شَرِّ ما خَلَقَ ، لم يَضُرُّه شَيْءٌ حَتَّى يرْحلَ منْ مَنزلِهِ ذلك . رواه مسلم .

فيـــه مســـائل

الأولى : تفسير آية الجن .

الثانية : كونه من الشرك .

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث لأن العلماء يَسْتَدِلُّون به على أن كلمات الله غير مخلوقة ، قالوا لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك .

(باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره)

متى فهمت الضابط السابق فى حد الشرك الأكبر[2] وهو ان (مَنْ صَرَفَ شَيْئاً مِنَ العِبَادَةِ لِغَيْرِ الله فَهُو مُشرك) فهمت هذه الأبواب الثلاثة التى وَالى المصنف بيانها .

---

(١) الآية ٦ : الجن .

(٢) تقدم ص ٤٤ .

الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .

الخامسة : أن كون الشيء يحصلُ به منفعة دنيوية ، من كفِّ شرٍّ أو جَلْبِ نفعٍ لا يدل على أنه ليسَ مِنَ الشرك .

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ، فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ . وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية[1].

وقوله : ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ ﴾ الآية[2].

وقوله : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الآيتين[3].

فإن النـذر عبـادة مدح الله الموفين به ، وأمر النبيُّ ﷺ بالوفاء بنذر الطاعة ، وكل أمر مدحه الشارع أو أثنى على من قام به أو أمر به فهو عبادة .

فإن العبـادة (اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ الله ويَرْضَاهُ مِنَ الأعْمَالِ والأقْوالِ الظاهِرَةِ والباطِنَةِ) والنذر من ذلك .

وكذلك أمر الله بالاسْتِعَاذة به وحْدَه من الشرور كلها ، وبالاستغاثة

---

(١) الآية ١٠٦ وصدر الآية ١٠٧ : يونس .

(٢) من الآية ١٧ : العنكبوت .

(٣) صدر الآية ٥ : الأحقاف .

وقوله : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[1] .

ورَوَى الطبَراني بإسنَادِهِ : أَنَّه كان في زمن النبيِّ ﷺ مُنَافقٌ يُؤْذي المُؤمنينَ فقال بعْضُهُم قومُوا بنَا نَسْتَغِيث برَسُولِ الله ﷺ من هذا المُنافِق فقال النبيُّ ﷺ : إِنه لا يُسْتَغاثُ بي وإنما يستغاثُ باللَّه .

فيـــه مســائل

الأولى : أنَّ عطفَ الـدُّعَـاءِ عَلى الاستغـاثة من عطف العام على الخاص .

الثانية : تفسير قوله ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ .

الثالثة : أن هَذا هُوَ الشرك الأكبر .

الرابعة : أن أصْلح الناس لو يفعله إرضاءً لغيره صار من الظالمين .

به في كل شدة ومشقة ، فهذه إخلاصُها لله إيمانٌ وتَوْحِيدٌ وصرفها لغير الله شرك وتنديد .

والفـرق بين الـدُّعَـاء والاستغـاثـة،أن الـدَّعـاء عام في كل الأحوال والاستغاثة هي الدعاء لله في حالة الشدائد ، فَكُلٌّ ذلك يتعين إخلاصه لله وحده ، وهو المجيب لِدعاء الدّاعين المفرج لكربات المكروبين ، ومن دعا غيره من نبي أوملك أوولي أوغيرهم أو استغـاث بغـير الله فيـما لا يقـدر

---

(١) صدر الآية ٦٢ : النمل .

الخامسة : تفسير الآية التى بعدها .

السادسة : كون ذلك لا ينفع فى الدنيا مع كونه كفرًا .

السابعة : تفسير الآية الثالثة .

الثامنة : أن طلب الرزق لا ينبغى إلَّا مِنَّ الله ، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه .

التاسعة : تفسير الآية الرابعة .

العاشرة : أنه لا أضل ممن دَعَا غيرَ الله .

الحادية عشرة : أنه غافلٌ عن دُعَاءِ الدَّاعِى لا يَدْرِى عنه .

الثانية عشرة : أن تلك الدَّعْوَة سببٌ لبغض المدْعُوِّ للداعى وعداوته له .

الثالثة عشرة : تسمية تلك الدّعوة عبَادة للمدعُوِّ .

الرابعة عشرة : كفر المدعُوِّ بتلك العبادة .

الخامسة عشرة : أن هذه الأمور هى سبب كونه أضل الناس .

السادسة عشرة : تفسير الآية الخامسة .

السابعة عشرة : الأمر العجيب وهو إقرار عَبَدَةِ الأوثان بأنه لا يجيب المضطرَّ إلا اللهُ ، ولأجلِ هذا يدعُونَهُ فى الشدائد مخلصين له الدين .

الثامنة عشرة : حماية المصطفى ﷺ حِمَى التَّوْحِيد والتأدب مع الله .

عليه إلا الله فهو مشرك كافر ، وكما أنه خرج من الدين فقد تجرد أيضا من العقل ، فإن أحَدًا من الخلق ليس عنده من النفع والدفع مثقال ذرة لا عن نفسه ولا عن غيره بل الكل فقراء إلى الله فى كل شئ ونهم .

باب قول الله تعالى

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ الآية[1].

وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ الآية[2].

وفى الصَّحِيحِ عن أنس قال : « شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يومَ أُحُدٍ وكُسِرَتْ ربَاعيتُه ، فقال : كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهم ؟ فنزلت : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ .

وفيه عن ابن عمرَ رضى اللهُ عنهما : أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ : إذا رفع رأسَه من الركوع فى الركعة الأخِيرَةِ من الفجر « اللّهُمّ الْعَنْ فُلاناً وفُلاناً : بعدما يقول : سَمِعَ الله لمن حَمِدَه رَبَّنا وَلَكَ الحمدُ » فأنزلَ الله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[3].

(باب قول الله تعالى)

(أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ)

هذا شروع فى براهين التوحيدوأدلته ، فالتوحيد له من البراهين النقلية والعقلية ما ليس لغيره .

---

(١) الآية ١٩١ وصدر الآية ١٩٢ : الأعراف .

(٢) من الآية ١٣ : فاطر .

(٣) من الآية ١٢٨ : آل عمران .

وفي رواية : يدعو علىٰ صَفْوان بْنِ أميَّة وسُهَيل بْن عَمْرو والحَارث بْن هِشَام ، فنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ .

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال قام رسولُ الله ﷺ حين أُنزِلَ عَلَيْهِ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1] فقال : يَا مَعْشَرَ قُرَيشٍ ، أو كلمة نحوَها — اشْتَرُوا أنفسَكم لَا أُغنِي عَنكُم مِنَ الله شيئًا ، يا عبَّاسُ بنَ عَبْدِ المُطَّلِب لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ الله شيْئًا ، يا صفيةُ عمَّةَ رسولِ الله ﷺ ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شيْئًا ، ويا فاطمةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي من مَالِي ما شئت لا أُغْني عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً .

فتقدم أن التوحيدَيْن . توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات من أكبر براهينه وأضخمها،فالمتفردُ بالخلق والتدبير ، والمتوحد في الكمال المطلق من جميع الوجوه هو الذى لا يستحق العبادة سواه .

وكذلك من براهين التوحيد،معرفة أوصاف المخلوقين ، ومَنْ عُبِدَ مع الله،فإن جميع ما يُعْبَد من دون الله من ملك وبشر ومن شجر وحجر وغيرها،كلهم فقراء إلى الله ، عاجزون ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة ، ولا يخلقون شيئًا وهم يخلقون ولا يملكون ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا ، والله تعالى هو الخالق لكل مخلوق وهو الرازق لكل مرزوق المدبر للأمور كلها الضَّارُّ النافع المعطى المانع الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه يرجع كل شىء وله يقصد ويصمد ويخضع كل شىء .

فأيُّ برهانٍ أعظمُ من هذا البرهان الذى أعاده الله وأبداه في مواضعَ كثيرةٍ من كتابه وعلى لسان رسوله ، فهو دليل عقلى فِطرِىٌّ كما أنه دليل سمعى نقلى على وجوب توحيد الله وأنه الحق ، ودليل كذلك على بطلان الشرك .

---

(١) الآية ٢١٤ : الشعراء .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير الآيتين .

الثانية : قصة أحد .

الثالثة : قُنُوت سيد المرسلين وخلفه ساداتُ الأولياءِ يُؤمِّنُون فى الصلاة .

الرابعة : أن المدعو عليهم كفار .

الخـامسـة : أنَّهُمْ فَعَلوا أشيـاء ما فعَلَهَـا غالبُ الكفـار منها : شجُّهُمْ نَبِيَّهُم وحرصُهُم على قتله ، ومنها التمثيلُ بالقتلى مع أنهم بنو عمهم .

السادسة : أنزل اللهُ عليه فى ذلك ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ .

السابعة : قوله ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾ فتاب عليهم فآمنوا .

الثامنة : القنوت فى النزول .

التاسعة : تسمية المدعُوِّ عليهم فى الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم .

العاشرة : لَعْن المعَّين فى القنوت .

وإذا كان أشـرف الخلق على الإطـلاق لا يملك نفـعَ أقربِ الخلق إليه وأمسِّهم به رحما فكيف بغيره ؟ فتبا لمن أشرك بالله وساوى به أحدًا من المخلوقين ، لقد سُلِبَ عقلُه بعدما سُلِبَ دينه .

فنعُوتُ البـارى تعـالى وصفـاتُ عظمته وتوحده فى الكمال المطلق أكبرُ برهانٍ على أنه لا يستحق العبادة إلا هو .

الحادية عشرة : قصته ﷺ لما أُنزل عليه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ .

الثانيـة عشـرة : جده ﷺ فى هذا الأمـر بحيث فعل ما نُسِب بسببه إلى الجنون ، وكذلك لو يفعله مُسلم الآن .

الثالثـة عشـرة : قوله للأبعد والأقرب « لا أُغني عَنْكَ مِنَ الله شيئـًا » حتى قال « يافـاطِمَـةُ بنتَ محمـد لا أغني عنك من الله شيئا » فإذا صرح — وهو سيد المرسلين — بأنه لا يغني شيئًا عن سيدة نساء العـالمـين ، وآمن الإنسـان أنـه لا يقول إلا الحق ، ثم نظر فيما وقع فى قلوبُ خواصِّ الناس اليوم ، تبين له التوحيد وغربة الدين .

باب قـول الله تعالى

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُواْ : ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[1] .

وكـذلـك صفـات المخلوقـات كلهـا ، ومـا هى عليـه من النقص والحاجة والفقر إلى ربها فى كل شؤونها ، وأنه ليس لها من الكمال . إلا ما أعطاها ربها من أعظم البراهين على بطلان إلهية شىءٍ منها .

فمَن عرف الله وعـرف الخلق اضطـرتـه هذه المعـرفة إلى عبادة الله وحـده ، وإخـلاص الـدين له والثنـاء عليـه ، وحمده وشكره بلسانه وقلبه وأركانه وانصرف تعلقه بالمخلوقين خوفًا ورجاءً وطمَعًا والله أعلم .

---

(١) من الآية ٢٣ : سبأ .

وفى الصّحيــح عن أبي هُرَيْــرَة رَضِيَ الله عَنْـهُ عن النبي ﷺ قال : إذا قضَى اللّهُ الأمـرَ في السَّمَـاءِ ضَرَبتْ المـلائكـةُ بأجنحَتِهَا خُضْعَاناً لقوله كأنه سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوانٍ ينفذهم ذلك ، حتى إذَا فُزِّعَ عن قلُوبـهـم قالُــوا : ماذا قَالَ رَبكم ؟ قالــوا : الحَقَّ وَهُــوَ العَلِيُّ الكبيـر ، فيسْمعهـا مُسْتَـرِقُ السَّمْعِ ، ومُسْترقُ السَّمْعِ : هكذا بَعْضُهُ فَوْق بَعْضٍ ، وصفهُ سفيانُ بكفه ، فَحَرَّفَهَا وبدَّد بين أصَابعِهِ فيسمع الكلمـةَ فيلقيهَـا إلى مَنْ تحْتَـهُ ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيهـا على لِسَـان السَّاحر أو الكاهن ، فَرُبَّمَا أدركه الشهابُ قبل أن يُلقيهـا . وربمـا ألقَـاهَـا قبلَ أن يُدْركه ، فيكذب معها مائةَ كذبة ، فيقــال أَلَيْسَ قد قال لنَـا يَوْمَ كذا وكـذا كذا وكـذا : فَيُصَـدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ التي سُمِعَتْ مِنَ السَّماء) .

(بـاب قــول الله تعالى)
﴿ حَتَّى إذا فزع عن قلوبهم ﴾

وهــذا أيضـًا برهـانٌ عظيم آخـر على وجـوب التـوحيـد وبطـلان الشـرك ، وهـو ذكـر النصـوص الـدَّالَّـة على كبر يـاء الربِّ وعظمته التى تتضاءل وتضمحل عندها عظمةُ المخلوقاتِ العظيمة ، وتخضع له الملائكة والعالم العلوى والسفلى ولا تثبت أفئدتهم عندما يسمعون كلامه أو تتبدى لهم بعض عظمتـه ومجـده ، فالمخلوقات بأسرها خاضعة لجلاله ، معترفة بعظمته ومجده خاضعة له خائفة منه ، فمن كان هذا شأنه فهو الرب الذى لا يستحق العبـادة أو الحمـد والثناء والشكر والتعظيم والتأله إلا هو ، ومن سواه ليس له من هذا الحق شىء . فكــما أن الكــمال المطلق والكـبر يـاء

وعن النـواس بن سمعـان رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : « إذَا أراد الـلَّهُ تعَـالى أن يُوحِيَ بالأمْـرِ و تكلم بالْـوَحْيِ،أخـذت السموات منه رجفةً ــ أو قال ــ رعدةً شديدةً ــ خوفاً من الله عز جل فإذا سمع ذلك أهلُ السموات صُعِقُوا وخَرُّوا للهِ سُجَّدًا ، فيكون أولَ مَنْ يرفعُ رأسه جبريلُ فيكلمُه اللهُ من وحيه بما أَرَادَ ، ثم يمر جبريلُ على المَـلائكـةِ : كلمـا مرَّ بسمَـاءٍ سأله ملائكتُها : ماذا قال ربُّنا يا جبريل ، فيقول قال : الحَقّ وهُوَ العليُّ الكبيرُ . فيقولون كلُّهم مثلَ ما قال جبريلُ ، فينتهي جبريلُ بالوحْي إلى حيثُ أمَرَه اللهُ عَزَّ وجل) .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما فيها من الحجة على إبطال الشرك ، خصوصًا من تعلق على الصـالحـين ، وهى الآية التى قيل أنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب .

الثالثة : تفسير قوله ﴿ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وهُو ٱلْعليُّ ٱلْكبيرُ ﴾ .

الرابعة : سبب سؤالهم عن ذلك .

والعظمـة ونعـوت الجـلال والجـمال المطلق كلها لله لا يمكن أن يتصف بها غيره ، فكـذلـك العبودية الظاهرة والباطنة كلها حقه تعالى الخاص الذى لا يشاركه فيه مشارك بوجه .

الخامسة : أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله — قال كذا وكذا .

السادسة : ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل .

السابعة : أنه يقول لأهل السموات كلهم لأنهم يسألونه .

الثامنة : أن الغشى يعم أهلَ السمواتِ كلَّهم .

التاسعة : ارتجاف السموات لكلام الله .

العاشرة : أن جبريل هو الذى ينتهى بالوحى إلى حيث أمره الله .

الحادية عشرة : ذكر استراق الشياطين .

الثانية عشرة : صفة ركوب بعضهم بعضًا .

الثالثة عشرة : إرسال الشهب .

الرابعة عشرة : أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وتارة يلقيها فى أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه .

الخامسة عشرة : كون الكاهن يَصْدُق بعضَ الأَحْيَان .

السادسة عشرة : كونه يكذب معها مائة كذبه .

السابعة عشرة : أنه لم يُصَدَّق كذبُه إلا بتلك الكلمة التى سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاء .

الثامنة عشرة : قبولُ النُّفوسِ الباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة .

التاسعة عشرة : كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها .

العشرون : اثبات الصفات خلافاً للأشعرية المعطلة .

الحادية والعشرون : التصريح بأن تلك الرجفة والغشى خوفاً من الله عز وجل .

الثانية والعشرون : أنهم يخرون لله سُجَّدًا .

بـــاب الشفاعـــة

وقـول الله عز وجـل : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾[1] .

وقوله ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعاً ﴾[2] .

وقوله ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[3] .

وقـوله ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[4] .

(بـــاب الشـــفاعة)

إنـما ذكـر المصنف الشفاعة فى تضاعيف هذه الأبواب لأن المشركين يُبَرِّرُون شِرْكهم ودعـاءَهم للمـلائكـة والأنبيـاء والأوليـاء بقـولهم : نحن ندعوهم ، مع علمنا أنهم مخلوقون مملوكون ، ولكن حيث إن لهم عند الله جاهـًا عظيـمًا ومقـامـاتٍ عاليةً ندعوهم ليقربونَا إلى الله زلفى وليشفعوا لنا

(١) من الآية ٥١ : الأنعام .
(٢) صدر الآية ٤٤ : الزمر .
(٣) من آية الكرسى رقم ٢٥٥ : البقرة .
(٤) الآية ٢٦ : النجم .

وقوله ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ الآيتين[1].

قال أبو العباس : نفى الله عمّا سِوَاه كُلَّ ما يتَعلق به المشركُون فنفى أن يكون لغيره مُلْك أو قسط منه ، أو يكون عونًا لله ، ولم يبق إلا الشفاعة : فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الربُّ كما قال : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[2].

فهذه الشفاعة التى يظنها المشركُون هِي منتفية يَوْمَ القيامة كمَا نفاها القرآن ، وأخبر النبيُّ ﷺ : « أنَّهُ يأتي فَيَسْجُدُ لربه ويحمده ــ لا يبدأ بالشفاعة أولًا ــ ثم يُقَالُ له : ارفعْ رَأسَكَ ، وقل يُسْمعْ ، وسلْ تُعْط ، واشفع تُشفَّعْ » .

عنده ، كما يتقرب إلى الوجهاء عند الملوك والسلاطين ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم وإدراك مآربهم .

وهذا من أبطل الباطل ، وهو تشبيه الله العظيم ملك الملوك الذى يخافه كل أحد وتخضع له المخلوقات بأسرها بالملوك الفقراء المحتاجين للوجهاء والوزراء فى تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم .

فأبطل الله هذا الزعم ، وبَيّن أن الشفاعة كلّها له ، كما أن الملك كله له ، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، ولا يأذن إلا لمن رضى قوله وعمله ، ولا يرضى إلا توحيده وإخلاص العمل له .

فبيّن أن المشرك ليس له حظ ولا نصيب من الشفاعة .

---

(١) الآيتان ٢٢، ٢٣ : سبأ .

(٢) من الآية ٢٨ : الأنبياء .

وقال أبو هريرة له ﷺ « مَنْ أسْعدُ الناسِ بشفاعَتِكَ ؟ قال : مَنْ قال لا إلـه إلا الله خالصاً من قلبه » فتلك الشفاعة لأهل الإخْلاصِ بإذن الله ، ولا تكون لِمَنْ أَشْرَكَ بالله .

وحقيقته أن الله سُبْحَانه هُوَ الذى يتفضَّلُ عَلَىٰ أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دُعَاءِ مَنْ أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود .

فالشفاعَة التى نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعةَ بإذنه فى مواضع ، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص . اهـ كلامه .

وبين أن الشفاعة المثبتة التى تقع بإذنه إنما هى الشفاعة لأهل الإخلاص خاصة وأنها كُلَّها منه ، رحمة منه ، وكرامة للشافع ، ورحمة منه وعفوًا عن المشفوع له ، وأنه هو المحمود عليها فى الحقيقة ، وهو الذى أذن لمحمد ﷺ فيها وأَنَالَهُ المقامَ المحمود .

فهذا ما دل عليه الكتابُ والسنة فى تفصيل القول فى الشفاعة .

وقد ذكر المصنف رحمه الله كلامَ الشيخ تقى الدين فى هذا الموضع وهو كاف شاف .

فالمقصود فى هذا الباب ذكرُ النصوص الدالة على إبطالِ كُلِّ وسيلة وسبب يَتَعَلَّقُ به المشركون بآلهتهم ، وأنه ليس لها من الملك شىء ، لا استقلالاً ، ولا مشاركةً ، ولا معاونةً ، ولا مظاهرةً ، ولا مِنَ الشفاعة شىءٌ . وإنما ذلك كله لله وحده ، فتعيَّنَ أن يكون المعبودُ وَحْدَهُ .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير الآيات .

الثانية : صفة الشفاعة المنفية .

الثالثة : صفة الشفاعة المثبتة .

الرابعة : ذكر الشفاعة الكبرى ، وهى المقام المحمود .

الخـامسـة : صفـة ما يفعله ﷺ وأنـه لا يَبْـدأ بالشفـاعة ، بل يسجد فإذا أُذِنَ له شفع .

السادسة : من أسعد الناس بها .

السابعة : أنها لا تكون لمن أشرك بالله .

الثامنة : بيان حقيقتها .

باب قول الله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾

وفى الصَّحيـح عن ابن المسيب عن أبيـه قال:لَمَّا حَضَرَتْ أبَا طالبٍ الـوفـاةُ جاءَهُ رسـولُ الله ﷺ وعنـده عبْـدُ الله بنُ أبي أميـة وأبو جهلٍ . فقال له : يا عمِّ قُلْ لا إله إلَّا الله كلمة أُحاجُّ لك بها عنْد الله فقـالَا له : أتـرْغبُ عن مِلّةِ عبْـدِ المطلب ؟ فأعاد عليه النبي ﷺ .

باب قول الله تعالى ﴿ إنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾

وهذا الباب أيضاً نظيرُ الباب الذى قبله ، وذلك أنه إذا كان ﷺ هو أفضل الخلق على الإطلاق وأعظمُهم عند الله جاهًا وأقربُهم إليه وسيلةً لا يقـدر على هدايـة من أحبَّ هداية التوفيق . وإنما الهداية كلها بيد الله فهو

فأَعَادَا . فكانَ آخِرَ ما قال: هُو عَلَى مِلّةِ عبْدِ المطلب وأبى أن يقول: لا إلـه إلا الله فقـال النبي ﷺ : لأَسْتغْفِرَنَّ لك ما لم أُنْهَ عَنْك ، فأنزل الله عز وجـل ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾(١) وأنزل فى أبى طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾(٢).

فيـــه مســـائل

الأولى : تفسير ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآية .

الثانية : تفسير قوله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾ الآية .

الثالثة : وهى المسألة الكبيرة تفسير قوله (قلْ لَآ إِلٰهَ إِلَّا الله) بخلاف ما عليه من يدّعى العلم .

الـرابعـة : أن أبـا جهـل ومن معـه يَعْرِفُون مُرَادَ النبي ﷺ إذا دَخَـلَ قال للرجـل (قل لا إلـه إلا الله) فقبّح الله مَنْ أَبُو جَهْلٍ أعْلَم منه بأصْل الإسْلام .

الخامسة : جِدُّهُ ﷺ ومبالغته فى إسلام عمه .

الذى تفرد بهداية القلوب كما تفرد بخلق المخلوقات فتبين أنه الإله الحق .

وأما قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٣) .

فالمراد بالهداية هنا هداية البيان ، وهو ﷺ المبلغ عن الله وَحْيَهُ الذى اهتدَى به الخلقُ .

---

(١) صدر الآية ١١٣ : التوبة .

(٢) صدر الآية ٥٦ : القصص .

(٣) من الآية ٥٢ : الشورى .

السادسة : الرد على منْ زَعَمَ إسلامَ عبدِ المطلب وأسلافه .

السابعة : كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له ، بل نهي عن ذلك .

الثامنة : مضرة أَصْحَاب السوء على الإنسان .

التاسعة : مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر .

العاشرة : الشبهة للمُبطلين فى ذلك لاستدلال أبى جهل بذلك .

الحادية عشرة : الشاهِدُ لكَوْنِ الأعمالِ بالخواتيم لأنه لو قالها لنفعته .

الثانية عشرة : التأمل فى كِبَرِ هذه الشبهة فى قُلُوب الضَّالِّين لأن فى القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها مع مبالغته ﷺ وتكريره ، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها .

باب ما جاء أَنَّ سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغُلُوُّ فى الصَّالحين

وقول الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾[1] .

وفى الصَّحيح عن ابن عبَّاس رضىَ الله عنهمَا فى قول الله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا ، وَلَا سُوَاعاً ، وَلَا يَغُوثَ ، وَيَعُوقَ ، وَنَسْرًا ﴾[2] قال : « هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ

(١) صدر الآية ١٧١ : النساء .

(٢) الآية ٢٣ : نوح .

مِنْ قوم نوح فلمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشيطانُ إلى قومهم أن انصُبُوا إلى مجالسهم التي كانوا يَجْلِسُون فيها أنصَاباً وسَمُّوهَا بأسْمَائهم فَفَعلُوا ولم تُعْبد حَتَّى إذَا هَلَكَ أُولَئكَ ونُسِيَ العِلْمُ عُبِدَتْ » .

وقال ابنُ القيم ـ قال غيرُواحدٍ من السلف: لمَّا مَاتوا عَكَفُوا على قُبُورهم ثم صَوَّرُوا تماثيلَهُم ثم طَالَ عليهم الأمدُ فَعَبَدُوهُمْ .

وعن عمر ـ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ ـ « لا تُطْروني كَمَا أَطْرَتْ النصارى ابنَ مَرْيَم إنَّما أنا عَبْد ـ فقولُوا عَبْد الله ورَسُوله » أخرجاه .

وقال ـ قال رسول الله ﷺ : « إيَّاكم والغُلُوّ فإنمَّا أهلك من كان قَبْلَكُم الغُلُوّ » .

ولمسلم عن مسعود ـ أن رسول الله ﷺ قال ـ « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » قالها ثلاثا .

(باب ما جاء أن سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغُلُوّ في الصَّالحين)

والغلو هو مجاوزة الحد بأن يجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء ، فإن حق الله الذى لا يشاركه فيه مشارك ، هو الكمال المطلق ، والغِنَى المطلق والتصرف المطلق ، من جميع الوجوه ، وأنه لا يستحق العبادة والتأله أحد سواه .

فمن غلا بأحدٍ من المخلوقين حتى جعل له نصيبًا من هذه الأشياء فقد ساوى به ربَّ العالمين ، وذلك أعظم الشرك .

فيـــه مسـائل

الأولى: أن مَنْ فَهِمَ هذا البابَ وبابين بَعْده تبيَّن له غُرْبة الإسلام ورأى من قُدْرَةِ الله وتقلِيبِهِ لِلْقلُوب العَجَبَ.

الثانية: معرفةُ أن أوّلَ شركٍ حَدَثَ عَلى وَجْهِ الأرضِ كَان بشُبْهةِ الصَّالحين.

الثـالثـة: مَعْـرفـةُ أَوّلِ شَىءٍ غُيِّرَ به دينُ الأنبياء، وسَبَبُ ذلك مع معْرفة أَنَّ اللهَ أرسَلَهُمْ.

الرابعة: مَعْرفةُ سبَبِ قَبُولِ البِدَع مع كَوْن الشّرَائِع والفِطَرِ تردها.

الخامسة: أن سَبَبَ ذلك كله مَزْجُ الحق بالباطل.

فالأول:محبة الصالحين .

والثانى:فِعْل أُناَسٍ مِنْ أهْلِ العِلْم والدِّين شَيْئاً أرادُوا بِهِ خَيْراً فَظَنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ أنهُم أرَادُوا به غيرَه .

السادسة: تفسيرُ الآية التى فى سُورة نوح.

السابعة: مَعْرفةُ جِبِلَّةِ الآدَمِيِّ فى كَوْنِ الحق يَنْقُصُ فى قَلْبه والباطل يزيد.

الثامنة: إن فيها شاهداً لما نُقِلَ عَن بعْضِ السَّلَف أنَّ البِدْعَة سَبَبٌ للكفر، «وأنها أحبُّ إلىٰ إبليسَ مِنَ المعْصِيَة، لِأن المعصيَة يُتابُ منها، والبِدْعَة لا يُتابُ منها». ★

التاسعة: معرفة الشيطان بها تؤول إليه البدعة ولو حَسُنَ قصد الفاعل.

العـاشـرة: معـرفة القاعدة الكُلِّية وهى النهى عن الغُلُوِّ ومعرفة ما يؤول إليه.

★ يراجع كتاب تيسير العزيز الحميد ـ «فى نفس الباب» .

الحادية عشرة: مَضَرَّةُ العُكُوف عَلَى القبر لأَجْلِ عَمَلٍ صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهى عن التماثيل والحكمة فى إزالتها.

الثالثة عشرة: مَعْرِفَةُ عِظَمِ شَأْنِ هذه القصّة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهى - أعجب العجب - قراءتُهُمْ [أى أهل البدع] إيّاها فى كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه هو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريحُ بأنهُمْ لم يُرِيدُوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذينَ صَوَّرُوا الصُّوَرَ أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيَان العظيمُ في قوله: «لا تُطْرُونِي كما أَطْرَت

ومن رفع أحداً من الصالحين فوق منزلته التى أنزله الله بها فقد غلا فيه وذلك وسيلة إلى الشرك وترك الدين.

والناس فى معاملة الصالحين ثلاثة أقسام:

أهل الجفاء الذين يهضمونهم حقوقهم ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة لهم والتوقير والتبجيل.

وأهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التى أنزلهم الله بها.

وأهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم ويقومون بحقوقهم الحقيقية ولكنهم يبرؤون من الغلو فيهم وادعاء عصمتهم.

والصالحون أيضًا يتبرؤون من أن يَدَّعُوا لأنفسهم حقًّا من حقوق ربهم الخاصّة، كما قال الله عن عيسى ﷺ ﴿ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾.

النصارى ابنَ مَرْيَم» فصلوات الله وسلامه عليه بلَّغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحتُه إيَّانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تُعْبَد حتى نُسِيَ العِلْمُ، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده.

العشـــرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده !!

في الصحيح عن عائشة «أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرضِ الحبشة وَمَا فيها مِنَ الصور فقال: أُولَئكَ إِذَا مَاتَ

واعلم أن الحقوق ثلاثة:

حق خَاصٌّ لله لا يشاركه فيه مشارك وهو التألُّه له وعبادته وحده لا شريك له، والرغبة والإنابة إليه حبًّا وخوفاً ورجاءً.

وحق خاص للرسل وهو توقيرهم وتبجيلهم والقيام بحقوقهم الخاصة.

وحق مشترك وهو الإيمان بالله ورسله، وطاعة الله ورسله، ومحبة الله ومحبة رسله، ولكن هذه لله أصلا وللرسل تبعًا لحق الله.

فأهل الحق يعرفون الفرقان بين هذه الحقوق الثلاثة فيقومون بعبوديَّة الله وإخلاص الدِّين له، ويقومون بحق رسله وأوليائه على اختلاف منازلهم ومراتبهم: والله أعلم.

فيهم الرجلُ الصَّالحُ أو العَبْدُ الصَّالحُ بَنَوْا عَلىٰ قبره مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فيـه تِلْكَ الصُّـور . أولئك شِرَارُ الْخَلْق عِنْد الله » فهؤلاء جَمَعُوا بين الفِتْنَتَيْنِ ، فتنةِ القبور ، وفتنةُ التماثيل .

ولهُمَـا عنهــا قالت « لمّــا نُزل برسـول الله ﷺ طَفِقَ يطـرح خميصـةً له عَلى وجهـهِ فإذا اغتَمَّ بها كشفَهَا فقالَ وهو كذلك : لَعْنَةُ الله عَلى اليهودِ والنَّصَارى ، اتخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ . يُحذِّرُ ما صَنعُوا ، وَلَوْلا ذلك أبرز قَبْره غير أنه خشى أن يُتَّخَذَ مَسْجِدًا » . أخرجاه .

باب ما جاء من التغليظ فيمن عَبَدَ الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده ! !

باب ما جاء أن الغلُوَّ فى قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تُعْبَدُ من دون الله .

ما ذكر المصنف فى البابين يتضح بذكر تفصيل القول فيما يفعل عند قبور الصالحين وغيرهم .

وذلك أَنَّ مَا يُفْعَل عِندَهَا نوعان : مشروع وممنوع .

أمـا المشـرُوع فهـو ما شرعـه الشـارع من زيـارة القبور على الوجه الشـرعى من غير شَدِّ رَحْـلٍ ، يزورهـا المسلم متَّبِعًـا لِلسُّنَّـةِ فيدْعُو لأهلها عمـومًـا ولأقـاربه ومعارفه خصوصًا فيكون مُحْسِنًا اليهم بالدعاء لهم وطلب العفـو والمغفـرة والـرحمة لهم ، ومُحْسِنًا إلى نفسه باتباع السنة وتذكر الآخرة والاعتبار بها والاتعاظ .

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال سمعتُ النبي ﷺ قبل أن يَمُوتَ بخمسٍ وهو يقول (إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي منكم خليلٌ فَإِن الله قد اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كما اتخذ إبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ولو كنتُ مُتَّخِذًا من أمتي خَليلًا لأتخذت أبَا بَكْرٍ خَليلًا ، ألا وإنَّ منْ كان قبلكم كانوا يَتَّخِذُون قبورَ أنبيائهم مَسَاجد ، ألا فلا تتخذُوا القبورَ مَسَاجِدَ فَإِني أنهَاكُمْ عَن ذَلِكَ) .

فقد نهى عنه آخر حياته ، ثم أنه لَعَنَ ــ وهو فى السياق ــ من فعله ، والصَّلاة عِندَهَا مِن ذلك وإن لم يبن مسجد وهو معنى قوله « خَشِيَ أن يتخذ مَسْجِدًا » فإن الصَّحَابة لم يكونُوا ليبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وكل موضع قُصدت الصلاة فيه فقد اتُّخِذَ مَسْجِدًا ، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا ، كما قال ﷺ « جعلت لى الأرضُ مسجدًا وطهورًا » .

ولأحمدَ بسَنَدٍ جَيِّد عن ابن مسعود رضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً : « إنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُم السَّاعَة وَهُمْ أحْيَاء ، والَّذينَ يَتَّخِذُونَ القبُورَ مَسَاجِدَ » ورواه أبو حاتم فى صحيحه .

وأما الممنوع فإنه نوعان :

أحدهما محرم ووسيلة للشرك كالتمسح بها والتوسل إلى الله بأهلها ، والصلاة عندها ، وكإسراجها والبناء عليها ، والغلو فيها وفى أهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة .

والنوع الثانى شرك أكبر كدعاء أهل القبور والاستغاثة بهم وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية منهم ، فهذا شرك أكبر ، وهو عين ما يفعله عُبَّادُ الأصنام مع أصنامهم .

فيـــه مســائل

الأولى : ما ذكـر الـرسولُ فيمَن بنى مسجدًا يُعْبدُ الله فيه عند قبر رجل صالح ولو صحت نية الفاعل .

الثانية : النهى عن التماثيل وغلظ الأمر فى ذلك .

الثـالثـة : العـبرة فى مبـالغتـه ﷺ فى ذلـك وكيف بَيَّنَ لهم هذَا أولًا ، ثم قبـل موتـه بخمس قال ما قال ، ثم لما كان فى السِّيَـاق لم يكتف بما تقدم .

الرابعة : نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر .

الخامسة : أنه من سنن اليهود والنصارى فى قبور أنبيائهم .

السادسة : لعنه إياهم على ذلك .

السابعة : أن مراده تحذيره إيانا عن قبره .

الثامنة : العِلَّة فى عدم إبراز قبره .

التاسعة : فى معنى اتخاذها مَسْجِدًا .

العـاشـرة : أنـه قرن بين من اتخـذهـا مَسْجِـدًا وبين من تقوم عليهم الساعة ، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته .

الحـاديـة عشـرة : ذكـره فى خطبته قبل موته بخمس،الرد على الطائفتين اللتين هما أشر أهل البدع ، بل أخرجهم بعض أهل العلم

ولا فرق فى هذا بَيِّنَ أن يعتقـدَ الفـاعـلُ لذلـك أنهم مستقلون فى تحصيـل مطـالبـه ، أومتـوسطـون الى الله ، فإن المشـركـين يقولون ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[1] و﴿ يَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ .

(۱) من الآية ۳ : الزمر .

من الثنتين والسبعين فرقة وهم الرافضة والجهمية ، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور وهم أول من بنى عليها المساجد .

الثانية عشرة : ما بُلِيَ به رَسُولُ الله ﷺ من شدة النزع .

الثالثة عشرة : ما أُكْرِمَ به من الخلة .

الرابعة عشرة : التصريح بأنها أعلى من المحبة .

الخامسة عشرة : التصريح بأن الصِّدّيق أفضل الصحابة .

السادسة عشرة : الإشارة إلى خلافته .

باب ما جاء أن الغُلُوَّ في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تُعْبَدُ من دون الله

روى مالكٌ في المُوطأ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : (اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ . اشتدَّ غَضَبُ اللهِ على قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أنبيائهم مَسَاجِد) ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن

فمن زعم أنه لا يكفر من دعا أهل القبور حتى يعتقد انهم مستقلون بالنفع ودفع الضرر ، وان من اعتقد ان الله هو الفاعل وانهم وسائط بين الله وبين من دعاهم واستغاث بهم[1] يكفر .

من زعم ذلك فقد كَذَّبَ ما جاء به الكتابُ والسنة ، وأجمعت عليه الأمة مِنْ أنَّ مَنْ دَعَىٰ غيرَ الله فهو مشرك كافر في الحالين المذكورين سواء اعتقدهم مستقلين أو متوسطين .

---

(١) لعله — لم يكفر .

مجاهـد (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ) قال : كان يلت لهم السويق ، فمات ، فعكفوا على قبره .

وكـذا قال أبـو الجـوزاء عن ابن عبـاس : كان يَلِتُّ السَّوِيقَ لِلْحَاجِ . وعن ابن عبَّاس رَضِيَ الله عنهما قال : لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ زائراتِ القُبُور والمتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المسَاجِدَ والسُّرُجَ . رواه أهل السنن .

(فيـــه مســائل)

الأولى : تفسير الأوثان .

الثانية : تفسير العبادة .

الثالثة : أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يَخَافُ وقوعه .

الرابعة : قَرْنُهُ بهذا اتخاذَ قبورِ الأنبياءِ مَسَاجِدَ .

الخامسة : ذِكْر شدَّةِ الغضب من الله .

السادسة : وهى من أهمها معرفة صفة عبادة اللات التى هى من أكبر الأوثان .

السابعة : معرفة أنَّهُ قبرُ رَجُلٍ صالح .

الثامنة : انه اسم صاحب القبر ، وذكر معنى التسمية .

التاسعة : لعْنه زوَّاراتِ القبور .

العاشرة : لعنه مَنْ أسْرَجها .

وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام .

فعليـك بهذا التفصيـل الذى يحصل به الفرقان فى هذا الباب المهم الذى حصل به من الاضطراب والفتنة ما حصل ، ولم ينج من فتنته إلا من عرف الحق واتبعه .

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جَنَابَ التوحيد وسَدِّه كلَّ طريق يوصل إلى الشرك

وقـول الله تعـالى : ﴿ لَقَـدْ جَآءَكُمْ رَسُـولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ الآية[1].

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تجْعلُوا بيوتَكم قبورًا ولا تجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا وَصَلُّوا عَلَيَّ فإنَّ صَلَاتكُمْ تَبْلُغني حيْثُ كُنتُم » رواه أبو داود باسناد حسن ورواته ثقات .

وعن علي بن الحسين رضى الله عنـه (أنـهُ رأى رَجُـلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ ؟ فيدْخل فيها فيدعو ، فنهاه .

وقـال : ألا أحـدثكم حديثـاً سمعْتُـه من أبي عن جدي عن رسـول الله ﷺ قال : « لا تَتَّخـذُوا قبْـري عيداً ، ولا بُيُوتَكُم قُبُوراً ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فإنَّ تَسْلِيمَكَمْ يَبْلغُني حَيْثُ كُنتُمْ » رواه في المختارة .

(باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ) (جَنَابَ التوحيد وسَدِّه كُلَّ طريقٍ يوصِّلُ إلى الشرك)

من تأمل نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب رأى نصوصًا كثيرة تحث على القيـام بكـل ما يُقَـوِّي التـوحيـدَ وينميه ويغذيه من الحث على الإنابة إلى الله وانحصاره في تعلق القلب بالله رغبةً ورهبةً ، وقوة الطمع في فضله وإحسـانـه والسعي لتحصيـل ذلـك وإلى التحرر من رق المخلوقين

---

[1] من الاية ٢٨ : التوبة .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير آية براءة .

الثانية : ابعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد .

الثالثة : ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته .

الرابعة : نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص ، مع أن زيارته من أفضل الأعمال .

الخامسة : نهيه عن الاكثار من الزيارة .

السادسة : حثه على النافلة في البيت .

السابعة : أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى فى المقبرة .

الثامنة : تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وان بعد فلا حاجة إلى ما يتوهمُهُ مَنْ أَرَادَ القُرْبَ .

التاسعة : كونه ﷺ فى البَرْزَخ تُعرض أعمالُ أمته فى الصلاة والسلام عليه .

وعدم التعلق بهم بوجهٍ من الوجوه أو الغلوّ فى أحد منهم ، والقيام التام بالأعمال الظاهرة والباطنة وتكميلها وخصوصًا حث النصوص على روح العبودية وهو الإخلاص التام لله وحده .

ثم فى مقابلة ذلك نهى عن أقوال وأفعال فيها الغلو بالمخلوقين .

ونهى عن التشبه بالمشركين لأنه يدعو إلى الميل إليهم .

ونهى عن أقوال وأفعال يُخْشَىٰ أن يُتَوَصَّلَ بها إلى الشرك كل ذلك حماية للتوحيد .

ونهى عن كل سبب يوصل إلى الشرك ، وذلك رحمةً بالمؤمنين

باب مَا جَاء أن بعَضَ هذه الأمة تعبد الأوثان

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ ﴾(١) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ ، لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾(٣) .

عن أبي سعيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لتتبعُنَّ سُننَ منْ كان قبلَكُم ، حَذْوَ القـذَّة بالقـذَّة حَتَّى لو دَخَلُوا جُحْـرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوه . قالُوا يا رسُولَ الله ، اليهودَ والنصارَىٰ ؟ قال : فَمَنْ ؟ » أخرجاه .

ليتحققوا بالقيام بها خلقوا له من عبوديّة الله الظاهرة والباطنة وتكميلها لتكمل لهم السعادة والفلاح .

وشواهد هذه الأمور كثيرة معروفة .

(باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان)

مقصود هذه الترجمة الحذر من الشرك والخوف منه ، وأنه أمر واقع فى هذه الأمــة لا محالـة ، والـرد على من زعم أن من قال : لا إلـه إلا الله

(١) صدر الآية ٥١ : النساء .

(٢) صدر الآية ٦٠ : المائدة .

(٣) من الآية ٢١ : الكهف .

ولمُسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رَسُول الله ﷺ قال : « إن الله زَوَىٰ لِيَ الأرضَ ، فرأيتُ مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا ما زُوى لي منها ، وأُعطِيتُ الكنزيْن الأحمرَ والأبيضَ ، وإني سألتُ رَبيِّ لأمتي أن لا يُهْلكها بسُنَّةٍ بعَامَّة ، وأن لا يُسَلِّط عليهم عَدُواً مِنْ سِوَى أنفسهم فيستبيحَ بيضتَهم ، وإنَّ رَبِّي قال يا محمدُ إني إذا قضيْتُ قضاءً فإنَّهُ لا يُرَدُّ ، وإني أَعْطيتُك لأمتك أن لا أُهلكَهُم بِسنةٍ بعامة وأن لا أُسَلِّطَ عَلَيْهِم عَدُواً مِنْ سِوَى أنفسِهم فيستبيحَ بيضَتَهم ، ولو اجْتَمَعَ عَلَيْهِم مَنْ بأقطارِهَا ، حَتَّى يَكون بعضُهم يُهْلِكُ بعضاً ويَسْبي بعضُهُم بعضاً » .

ورواه البرقاني فى صحيحه ، وزاد « وإنَّمَا أخاف عَلَى أمتي الأئمَّةَ المُضِلّينَ ، وإذا وقع عَلَيْهمُ السيفُ لم يُرْفَعْ إلى يَوْمِ القيامة ، ولا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يلحق حَيّ مِنْ أمتي بالمشركين ، وحَتَّى تَعْبُدَ فِئَام مِنْ أُمَّتِي الأوثَان ، وأنه سيكون في أمتي كَذَّابُون

وتسمى بالإسلام أنه يبقى على إسلامه ولو فعل ما ينافيه من الاستغاثة بأهل القبور ودعائهم ، وسَمّىٰ ذلك تَوَسُّلاً لا عبادة فإن هذا باطل .

فإن الوثن اسم جامع لكل ما عُبد من دون الله لا فرق بين الأشجار والأحجار والأبنية ، ولا بين الأنبياء والصالحين والطالحين فى هذا الموضع وهو العبادة فإنها حق الله وحده ، فمن دَعَا غيرَ الله أو عبده فقد اتخذه وثنًا وخرج بذلك عن الدين ، ولم ينفعه انتسابه إلى الإسلام ، فكم انتسب إلى الإسلام من مشرك وملحد وكافر منافق . والعبرة بروح الدين وحقيقته لا بمجرد الأسامى والألفاظ التى لا حقيقة لها .

ثَلاثُـونَ كلهم يَزْعُم أنَّـه نبي وأنـا خاتم النبيين ، لا نَبِيَّ بَعْدِي ، ولا تَزَالُ طآئِفَـة من أمتي عَلَى الحَق مَنْصُـورَة لا يضـرُّهُم مَنْ خَذَلَهُمْ ولا مَنْ خالفَهُم حَتَّى يأتيَ أَمْرُ الله تبارك وتعالى » .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير آية النساء .

الثانية : تفسير آية المائدة .

الثالثة : تفسير آية الكهف .

الرابعة : وهى أهمها ، ما معنى الإيمان بالجبْت والطاغوت فى هذا المـوضـع هل هو اعتقـاد قلب أو هو موافقـة أصحـابها مع بغضها ومعرفة بطلانها .

الخامسة : قولهم إن الكفار الذين يعرفون كفرَهُمْ أهدى سبيلا من المؤمنين .

الســادسـة : وهى المقصـود بالـترجمة أن هذا لابد أن يوجد فى هذه الأمة كما تقرر فى حديث أبي سعيد فى جموع كثيرة .

السابعة : تصريحه بوقوعها أعنى عبادة الأوثان فى هذه الأمة .

الثامنة : العجب العجاب خروجُ من يدعى النبوة مثل المختار مع تكلمـه بالشهَادتـين وتصـريحـه بأنه من هذه الأمة ، وأن الرسول حق ، وأن القـرآن حق . وفيـه أن محمـدًا خاتم النبيـين ، ومـع هذا يصـدق فى هذا كله مع التضـاد الـواضـح ، وقد خرج المختار فى آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة .

التاسعة : البشارة بأن الحقَّ لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه طائفة .

العاشرة : الآية العظمى أنهم مع قتلهم لا يَضُرُّهُم من خذلهم ولا من خالفهم .

الحادية عشرة : أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة .

الثانية عشرة : ما فيه من الآيات العظيمة ، منها إخباره بأن الله زوى له المشارقَ والمغاربَ وأخبرَ بمعنى ذلك ، فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال ، وإخباره بأنه أُعْطِيَ الكنزين ، وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين ، وإخباره بأنه منع الثالثة ، وإخباره بوقوع السيف ، وأنه لا يُرْفع إذا وقع ، وإخباره بإهلاك بعضهم بعضا وسبي بعضهم بعضا وخوفه على أمته من الأئمة المضلِّين وأخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة ، وأخباره ببقاء الطائفة المنصورة . وكل هذا وقع ، كما أخبر ، مع أن كلّ واحدة منها أبعد ما يكون في العقول .

الثالثة عشرة : حصْرُ الخوف على أمته من الأئمة المضلين .

الرابعة عشرة : التنبيه على معنى عبادة الأوثان .

باب ما جاء في السحر

وقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَالَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ وقوله : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾[1] .

(١) من الآية ١٠٢ : البقرة .

قال عمر : « الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان » .

وقال جابر : « الطواغيت : كهان ، كان ينزل عليهم الشيطان ، فى كل حي واحد » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الموبقات . قالوا : يا رسولَ الله وما هُنَّ ؟ قال : الشِّرْكُ بالله ، والسِّحر ، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ، وأكْل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْف ، وقذف المُحْصَنَات الغافلات المؤمنات » .

وعن جندب مرفوعًا : « حدُّ السَّاحر ضرْبُه بالسَّيْفِ » رواه الترمذي وقال الصحيح انه موقوف .

وفى صحيح البخارى عن بجالة بن عبدة قال كتب عُمَرُ بن الخطاب رَضِيَ الله عنه : أنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحرٍ وسَاحِرَة ، قال : فقتلنا ثلاثَ سَوَاحِرٍ » .

(باب السحر ، وباب شيء من أنواع السحر)

وجه إدخال السحر فى أبواب التوحيد أَنَّ كثيرًا من أقسامه لا يتأتى إلا بالشرك والتوسل بالأرواح الشيطانية إلى مقاصد السَّاحر فلا يتم للعبد توحيد حتى يدع السحر كله قليله وكثيره .

ولهذا قرنه الشارع بالشِّرْك ، فالسِّحْرُ يدخل فى الشرك من جهتين :

من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلق بهم وربما تقرب إليهم بما يحبون ليقُومُوا بخدمَتِهِ ومطلوبه .

وصح عن حفصة رضى الله عنها « انها أَمَرَتْ بقَتْلِ جَارِيةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا فَقُتِلَتْ » . وكذلك صح عن جندب .

قال أحمد عن ثلاثة من أصْحاب النبي ﷺ .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية النساء .

الثالثة : تفسير الجبْت والطاغوت والفرق بينهما .

الرابعة : ان الطاغوت قد يَكون من الجن وقد يكون من الإنس .

الخامسة : معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهى .

السادسة : أن السّاحر يكفر .

السابعة : أنه يُقْتَل ولا يُسْتتاب .

الثامنة : وجود هذا فى المسلمين على عهد عمر . فكيف بعده ؟

ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله فى علمه وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك ، وذلك من شعب الشرك والكفر .

وفيه أيضًا من التصرفات المحرمة ، والأفعال القبيحة كالقتل ، والتفريق بين المتحابين ، والصرف ، والعطف ، والسعى فى تغيير العقول ، وهذا من أفظع المحرمات ، وذلك من الشرك ووسائله ولذلك تعين قتل الساحر لشدة مضرته وإفساده .

بـاب بيان شيء من أنـواع السحر

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف عن حيان ابن العـلاء ، حدثنـا قطن بن قبيصـة عن أبيـه أنـه سمـع النبيَّ ﷺ قال : « إن العِيَافة وَالطَّرْق والطِّيرة مِنَ الجبْت » .

قال عوف: العيافة: زَجْرُ الطير ، والطَّرْق الخط يُخَط بالأرض ، والجبت قال الحسن : رنة الشيطان . اسناده جيد .

ولأبي داود والنسائي وابن حيان فى صحيحه المسند منه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنِ اقتبس شُعْبَـةً من النجُـوم فَقَدْ اقتبسَ شُعْبةً مِنَ السِّحْر ، زَادَ مَا زَادَ » رواه أبو داود ، واسناده صحيح .

وللنسائى من حديث أبي هريرة « مَنْ عَقَدَ عُقدَةً ثم نَفَثَ فيها فقد سَحَرَ ، ومن سَحَرَ فقد أَشْرَكَ ، ومن تَعَلَّقَ شيْئًا وُكلِ إلَيْه » .

وعن ابن مسعـود أن رَسُـولَ الله ﷺ قال : « أَلاَ هَلْ أُنَبِّئُكُم مَا العَضَّة ؟ هِيَ النَّمِيمَة القالَةُ بَيْنَ النَّاسِ » رواه مسلم .

ولهمـا عن ابن عمـر رضى الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال : « إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا » .

ومن أنواعه الواقعة فى كثير من الناس النميمة لمشاركتهم للسحر فى التفريق بين الناس وتغيير قلوب المتحابين وتلقيح الشرور .

فالسحر أنواع ودركات بعْضُهَا أقبح وأسفل من بعض .

فيـــه مســائل

الأولى : أن العيافة والطرْق والطيرة من الجبت .
الثانية : تفسير العيافة والطرق والطيرة .
الثالثة : أن علم النجوم نوع من السحر .
الرابعة : أن العقد مع النفث من ذلك .
الخامسة : أن النميمة من ذلك .
السادسة : أن مِنْ ذلك بعض الفصاحة .

باب ما جاء فى الكهان ونحوهم

روى مسلم فى صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ قال : « مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَألَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقه لَمْ تُقْبَل لَهُ صَلاة أرْبَعِينَ يَوْمًا » .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَتَى كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بما يقول فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ على مُحَمَّدٍ ﷺ » رواه أبو داود .

(باب ما جاء فى الكهان ونحوهم)

أى مِنْ كُلِّ مَنْ يَدَّعِى عِلْمَ الغيبِ بأى طريق من الطرق . وذلك أن الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب ، فمن ادعى مشاركة الله فى شىء من ذلك بكهانة أو عرافة أو غيرها ، أَو صَدَّق من ادَّعى ذلك فقد جعل لله شريكًا فيما هو من خصائصه ، وقد كذَّبَ اللهَ ورسولَه .

وللأربعة والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما ، عن أبي هريرة : « مَنْ أَتى عَرَّافاً أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزل على محمدٍ ﷺ » ولأبى يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا .

وعن عمران بن حصين مرفوعا « ليس منا مَنْ تَطَيَّر أو تُطُيِّر لهُ أو تَكهَّن أو تُكهن له أو سَحَرَ أو سُحِرَ لَهُ ، ومنْ أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفرَ بمَا أُنزلَ على محمد ﷺ » رواه البزار باسناد جيد .

ورواه الطبراني فى الأوساط باسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله « ومن أتى » إلى آخره .

قال البغوى : العرَّاف الذى يدَّعِى معرفةَ الأمور بمُقَدِّمَاتٍ يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك .

وقيل : هو الكاهن ، والكاهِنُ هو الذى يخبر عن المغيبات فى المستقبل .

وقيل : الّذى يُخْبِرُ عَمّا فى الضمير .

وقال أبو العباس بن تيمية : العَرّاف اسم الكاهن ،

وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك والتقرب إلى الوسائط التى تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية ، فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله فى علمه الذى اختص به .

ومن جهة التقرب إلى غير الله .

وفيه إبعاد الشارع للخلق عن الخرافات المفسدة للأديان والعقول .

والمنجم ، والرمال ونحوهم ، ممن يتكلم فى معرفة الأمور بهذه الطرق .

وقال ابن عباس فى قوم يكتبون أبا جاد ، وينظرون فى النجوم ما أَرَىٰ مَنْ فَعَلَ ذلك له عند الله مِنْ خَلَاقٍ .

فيـــه مســـائل

الأولى : انه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن .

الثانية : التصريح بأنه كفر .

الثالثة : ذكر من تُكهن له .

الرابعة : ذكر من تُطير له .

الخامسة : ذكر من سُحر له .

السادسة : ذكر من تعلم أبا جاد .

السابعة : ذكر الفرق بين الكاهن والعَرَّاف .

باب ما جاء فى النَّشْرَةِ

عن جابر (أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن النَّشْرة ؟ فقال : هى مِنْ عَمَلِ الشيْطَان) . رواه أحمد بسند جيد وأبو داود . وقال : سُئِلَ أحمد عنها ؟ فقال ابن مسعود ـ يكره هذا كله .

(بـــاب النشـــرة)

وهو حل السحر عن المسحور، ذكر فيه المصنف كلام ابن القيم فى التفصيل بين الجائز منه والممنوع ، وفيه كفاية .

وفى البخارى عن قتادة ــ قلت لابن المسيب رجل به طِبٌّ أو يُؤْخَذُ عَن امْرَأتِهِ أَيُحَلُّ عَنْه أوُيُنْشَر ؟ قال لا بأس به ؟ إنما يريدون به الإصلاح فأما ما يَنْفَع فلم يُنْهَ عَنْهُ ، انتهى .

وروى عن الحسن أنه قال : لا يَحِلُّ السِّحْرَ إلا سَاحِر .

قال ابن القيم : النُّشْرةُ حلُّ السِّحْر عن المسْحُور ، وهى نوعان :

حل بسحر مثله وهو الذى مِنْ عَمَلِ الشيطان . وعليه يُحْمَلُ قَوْلُ الحسن فَيَتَقَرَّب الناشرُ والمنتشرُ إلى الشيطان بما يحب فيبْطل عملَهُ عن المسْحُور . والثانى : النشرَة بالرقْيَة والتعوّذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز .

فيه مسائل

الأولى : النهى عن النشرة .

الثانية : الفرق بين المنهى عنه والمُرَخَّص فيه مما يزيل الإشكال .

باب ما جاء فى التطير

وقول الله تعالى ﴿ ألَآ إِنَّما طآئرُهُمْ عند آلله ولكنَّ أَكْثرهُمْ لا يعْلمُون ﴾(١).

(١) من الآية ١٣١ : الأعراف .

وقوله ﴿ قَالُواْ طَآئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ الآية[1].

عَنْ أَبي هُرَيْـرَةَ رضِيَ الله عَنْـه أَنَّ رَسُـولَ الله ﷺ قال : « لا عَدْوَىٰ وَلا طِيَرَةَ وَلَا هَامَّةَ وَلَا صَفَرَ » أخرجاه .

زاد مسلم ـ(ولا نَوْءَ وَلَا غَوْلَ) .

ولهما عن أنس قال : قال رَسُول اللهِ ﷺ « لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَة ويُعْجبُني الفأْلُ . قالوا : وما الفأْلُ ؟ قال : الكلمةُ الطَّيِّبَة » .

ولأبي داود بسنـد صحيـح عن عقبـة بن عامـر قال : (ذُكِرَت الطِّيَـرَةُ عِنْـدَ رَسُـولِ الله ﷺ فقال : أَحْسَنُهَا الفألُ ولا ترد مسْلمًا فإذا رأى أحـدُكم ما يكْـرَه فَلْيقُـل : اللَّهُمَّ لا يأتي بالحَسَنات إلا أنت ولا يَدْفَعُ السَّيئات إلا أنتَ ، ولا حَوْلَ وَلا قوة إلا بك) .

ولـه من حديث ابن مسعـود مرفـوعًـا « الطِّيَـرَةُ شِرْكٌ ، الطيرة شِرْكٌ ، وَمَـا مِنَّـا إِلَّا . . . وَلَكِنَّ الله يُذْهِبُـه بالتَّـوَكُّـل » رواه أبـو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود .

(بــاب الطِّــيَرَة)

وهو التشاؤم بالطيور ، والأسماء ، والألفاظ ، والبقاع ، وغيرها ، فنهى الشارع عن التطير وذَمَّ المتطيرين ، وكان يُحِبُّ الفألَ ويكره الطِّيرَةَ .

والفرق بينهما : أن الفأل الحسن لا يدخل بعقيدة الإنسان ولا بعقله وليس فيـه تعليق القلب بغـير الله بل فيـه من المصلحـة النشـاط والسرور وتقوية النفوس على المطالب النافعة .

(١) صدر الآية ١٩ : يس .

ولأحمد من حديث ابن عمر ـ « مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عن حاجته فَقَدْ أشْرَكَ . قالوا : فمَا كفارة ذلك ؟ قال : أن يَقُولَ اللهُمَّ لا خيْر إلَّا خَيْرُكَ ، ولا طَيْرَ إلَّا طَيْرُكَ وَلَا إلٰه غَيْرُكَ » .

وله من حديث الفضل بن العباس « إنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أو رَدَّكَ » .

فيـــه مســائل

الأولى : التنبيه على قوله (أَلَآ إِنَّمَا طَآئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ) مع قوله (طَآئِرُكُم مَّعَكُمْ) .

الثانية : نفى العدوى .

الثالثة : نفى الطِّيَرَة .

الرابعة : نفى الهامة .

الخامسة : نفى الصفر .

السادسة : أن الفأل ليس من ذلك ، بل مستحب .

وصفة ذلك أن يعزم العبد على سفر أو زواج أو عقد من العقود أو على حالة من الأحوال المهمة ثم يرى فى تلك الحال ما يسره أو يسمع كلامًا يسره مثل يا راشد أو سالم أو غانم ، فيتفاءل ويزداد طمعه فى تيسير ذلك الأمر الذى عزم عليه ، فهذا كله خير وآثاره خير ، وليس فيه من المحاذير شىء .

وأما الطيرة فإنه إذا عزم على فعل شىء من ذلك من الأمور النافعة فى الدين أو فى الدنيا ، فيرى أو يسمع ما يكره أثر فى قلبه أحد أمرين ، أحدهما أعظم من الآخر .

السابعة : تفسير الفأل .
الثامنة : أن الواقع فى القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهبه الله بالتوكل .
التاسعة : ذكر ما يقولُ من وجده .
العاشرة : التصريح بأن الطِّيَرَةَ شركٌ .
الحادية عشرة : تفسير الطيرة المذمومة .

(أحـدهما) أن يستجيبَ لِذلـك الدَّاعى فيترك ما كان عازمًا على فعله أو بالعكس فيتطير بذلك وينكص عن الأمر الذى كان عازمًا عليه ، فهـذا كما ترى قد علق قلبـه بذلـك المكـروه غايـة التعليق وعمـل عليه ، وتصـرف ذلـك المكـروه فى إرادتـه وعـزمه وعمله ، فلا شك أنه على هذا الـوجـه أثـرَ على إيـمانـه وأخل بتوحيده وتوكله ، ثم بعد هذا لا تسأل عما سيحدثه له هذا الأمر من ضعف القلب ووهنه وخوفه من المخلوقين وتعلقه بالأسباب وبأمور ليست أسباباً ، وانقطاع قلبه من تعلقه بالله ، وهذا من ضعف التـوحيـد والتـوكيـل ومن طرق الشـرك ووسـائله ، ومن الخرافات المفسدة للعقل .

الأمـر الثـانى : أن لا يستجيب لذلـك الـدَّاعى ولكنه يؤثر فى قلبه حزنـًا وهمًا وغـمًا ، فهـذا وإن كان دون الأول لكنه شر وضرر على العبد ، وضعف لقلبه وموهن لتوكله . وربما أصابه مكروه فظن أنه من ذلك الأمر فقوى تطيره ، وربما تدرج به إلى الأمر الأول .

فهـذا التفصيـل يبـين لك وجـه كراهة الشارع للطيرة وذمها ووجه منافاتها للتوحيد والتوكل .

وينبغى لمن وجـد شيئـًا من ذلك وخاف أن تغلبه الدواعى الطبيعية أن يجاهد نفسه على دفعها ويستعين بالله على ذلك ، ولا يركن إليها بوجه ليندفع الشر عنه .

باب ما جاء فى التنجيم

قال البخارى فى صحيحه : قال قتادة « خَلَقَ الله هذه النجوم لثلاثٍ : زينةً للسَّماءِ ورُجُومًا للشياطين وعلاماتٍ يُهْتدى بها ، فمن تأَوَّل فيها غير ذلك أخطأ وأضَاع نصيبَه ، وتكلَّف ما لا عِلْمَ لَهُ بِهِ » انتهى .

وكـره قتـادة تَعَلُّمَ منـازلَ القمرِ ، ولـم يُرَخِّص ابن عيينة فيه ، ذكره حَرْبٌ عَنْهُمَا .

ورَخَّصَ فِى تَعَلُّم المنازل أحمد واسحاق .

وعـن أبـي موسـى قال : قال رسـولُ الله ﷺ : « ثَلاثَـةٌ لا يَدْخُلُونَ الجَنة مُدْمِنُ الخمر ، وقَاطِعُ الرَّحِم ، ومُصَدِّقٌ بالسِّحر » . رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه .

(باب ما جاء فى التنجيم)

التنجيم نوعان :

نوع يسمى عِلْمَ التأثـير : وهـو الاستـدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية فهذا باطل ودعوى لمشاركة الله فى علم الغيب الذى انفرد به أو تصديق لمن أدَّعى ذلك ، وهذا ينافى التوحيد لما فيه من هذه الدعوى الباطلة ، ولما فيه من تعلق القلب بغير الله ولما فيه من فساد العقل ، لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان .

النـوع الثـانى : عِلْمَ التسْيِـير وهـو الاستـدلال بالشمس والقمـر والكـواكب على القبلة والأوقـات والجهات ، فهذا النوع لا بأس به ، بل

فيـــه مسـائل

الأولى : الحكمة فى خَلْقِ النُّجُوم .
الثانية : الرد على منْ زَعَمَ غير ذلك .
الثالثة : ذكر الخلاف فى تعلم المنازل .
الرابعة : الوعيد فيمَن صَدَّق بشىءٍ من السِّحر ، ولو عَرفَ أنه باطل .

باب ما جاء فى الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾[1] .

وعن أبي مالـك الأشعـري رضيَ الله عنه ـ أن رسولَ الله ﷺ قال : (أربعٌ في أمتي منْ أمْر الجاهلية ـ الفَخْرُ بالأحسَاب والطعنُ فى الأنسَابِ والاستِسْقـاءُ بالنجوم ، وقال : النَّائِحَةُ إذا لم تَتُبْ قبلَ موتهـا تُقَـام يومَ القيامةِ وعليها سِرْبالٌ من قطران ، ودِرْعٌ من جَرَبٍ) رواه مسلم .

كثـير منـه نافـع قد حث عليـه الشـارع إذا كان وسيلة إلى معـرفـة أوقات العبادات أو إلى الاهتداء به فى الجهات .

فيجب التفـريق بين ما نهى عنـه الشارع وحرمه . وبين ما أباحه أو استحبه أو أوجبه ، فالأول هو المنافى للتوحيد دون الثانى .

---

(١) الآية ٨٢ : الواقعة .

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال : « صلَّى لنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصبْحِ بالحديبية على أثر سمَاء كانت من الليل فَلَمَّا انصرف أقبل على الناس ، فقال : هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا : الله ورَسُولُه أَعْلَمُ ، قال : قال أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بي وكافر ، فَأَمَّا مَنْ قال : مُطِرْنا بفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ ، فذلك مؤمن بي كَافِرٌ بالكوكب ، وأما من قال : مُطرنا بِنَوْء كذا ، وكذا ، فَذَلك كَافِرٌ بي مُؤْمِنٌ بالكوكب » .

ولهما من حديث ابن عباس معناه وفيه ــ قال بعضهم :

(لقد مُطِرْنَا بِنَوْءِ كذا وكذا . فأنزل الله هذه الآية) .

(فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ) إِلَى قَوْلِهِ : (تكذبون) .

(باب الاستسقاء بالنجوم)

لما كان من التوحيد الاعترافُ لله بتفرده بالنعم ودفع النقم ، وإضافتها إليه قولاً واعترافًا واستعانةً بها على طاعته كان قول القائل : مُطرنا بنوء كذا وكذا ينافى هذا المقصود أشدَّ المنافاة لإضافة المطر إلى النوء .

والواجب إضافة المطر وغيره من النعم إلى الله فإنه الذى تفضل بها على عباده .

ثم الأنواء ليست من الأسباب لنزول المطر بوجه من الوجوه وإنما السبب عناية المولى ورحمته وحاجة العباد وسؤالهم لربهم بلسان الحال ولسان المقال فينزل عليهم الغيث بحكمته ورحمته بالوقت المناسب لحاجتهم وضرورتهم .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير آية الواقعة .

الثانية : ذكر الأربع التى مِنْ أمْرِ الجاهلية .

الثالثة : ذكر الكفر فى بعضها .

الرابعة : أن من الكُفْر ما لا يُخْرج عن الملة .

الخامسة : قوله « أَصْبَحَ مِن عِبَادي مؤمنٌ بي وَكَافِر » بسبب نزول النعمة .

السادسة : التفطن للإيمان فى هذا الموضع .

السابعة : التفطن للكفر فى هذا الموضع .

الثامنة : التفطن لقوله « لقد صَدَقَ نَوْءُ كذا وكذا » .

التاسعة : إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها لقوله أتدرون ماذا قال ربكم ؟

العاشرة : وعيد النائحة .

باب قول الله تعالى

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[1].

فلا يتم توحيد العبد حتى يعترفَ بنعِمِ الله الظاهرة والباطنة عليه وعلى جميع الخلق ويضيفها إِليه ويستعين بها على عبادته وذكره وشكره .

وهذا الموضع من محققات التوحيد وبه يُعْرَفُ كاملُ الإِيمان وناقصُه .

---

(١) صدر الآية ١٦٥ : البقرة .

وقـولـه : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ ـ إلى قوله ـ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[1] .

عن أنس : أن رَسُولَ الله ﷺ قال : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين) أخرجاه ؟

وَلَهُمَا عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَان ، أَن يَكُونَ اللهُ وَرَسُولَه أَحَبَّ إليه مما سِوَاهُمَا وأن يُحِبَّ المَرْءِ لا يُحِبُّه إلَّا لله ، وأن يكره أن يعُودَ في الكفر بعْدَ إذ أنقذه الله منه كَما يكْرهُ أن يُقْذفَ فى النار) .

وفي رواية « لا يجدُ أحدٌ حلاوةَ الإيمانِ حَتَّى » إلى آخره .

وعن ابن عباس قال « مَنْ أحبَّ في اللهِ ، وأبْغَضَ في الله ، وَوَالَىٰ في اللهِ ، وعَادَىٰ في الله ، فإنمَّا تَنَاوَل ولايةَ اللهِ بذلك ، ولن يجدَ

(باب قول الله تعالى)
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾

أَصلُ التوحيد وروحُه:إخلاصُ المحبةِ لله وحدَه وهيَ أَصْلُ التأله والتعبد له ، بل هى حقيقة العبادة ، ولا يتمُّ التوحيدُ حتى تكملَ محبة العبْدِ لربِّهِ ، وتسبق محبته جميعَ المحاب وتغلبها ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محاب العبد تَبَعًا لهذه المحبة التى بها سعادة العبد وفلاحه .

---

(١) صدر الآية ٢٤ : التوبة .

عبدٌ طعْمَ الإيمانِ ـ وإن كثرت صلاته وصومه،حتى يكونَ كذلك ، وقد صَارت عامَّة مؤاخاة الناسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا ، وذلك لا يُجْدى على أهله شيئا » رواه ابن جرير .

وقال ابن عباس فى قوله ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ قال : المودة .

فيـــه مســـائل

الأولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : وجوب[1] محبته ﷺ على النفس والأهل والمال .

الرابعة : أن نفى الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام .

الخامسة : أن لِلْإيمان حلاوة قدْ يجدُها الإنسان وقد لا يجدها .

ومن تفريعها وتكميلها الحبُّ فى الله ، فيحب العبدُ ما يحبه الله من الأعمال والأشخاص ، ويبغض ما يبغضه الله مِنَ الأشخاص والأعمال ويُوَالى أولياءَه ويُعَادى أعداءه ، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده .

أما اتخاذ أندادٍ مِنَ الخلق يُحِبُّهُم كَحُبِّ الله وَيُقَدِّمُ طاعتهم على طاعة الله ويلهج بذكرهم ودعائهم فهذا هو الشرك الأكبر ، الذى لا يغفره الله وصاحب هذا الشرك قد انقطع قلبه من ولاية العزيز الحميد ، وتعلق بغيره ممن لا يملك له شيئا ، وهذا السبب الواهى الذى تعلق به المشركون سينقطع يوم القيامة أحوج ما يكون العبد لعمله ، وستنقلب هذه المودة والموالاة بغضًا وَعَدَاوةً .

---

(١) لعل الصواب (وجوب تقديم محبته) .

السادسة : أعمال القلب الأربع التى لا تنال ولاية الله إلا بها ، ولا يجد أحدٌ طعْمَ الإيمان إلا بها .

السابعة : فَهْمُ الصَّحَابى للواقع ــ أن عَامَّة المؤاخاة على أمر الدنيا .

الثامنة : تفسير (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ) .

التاسعة : أن من المشركين من يُحِبُّ اللهَ حُبًّا شَدِيدًا .

العاشرة : الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه .

الحادية عشرة : أن من اتخذ نِدًّا تُسَاوِى محبتُه محبَّةَ الله فهو الشرك الأكبر .

وأعلم أن أنواع المحبة ثلاثة أقسام :

الأول : محبة الله التى هى أصل الإيمان والتوحيد .

الثانى : المحبة فى الله وهى محبة أنبياء الله ورسله وأتباعهم ، ومحبة ما يحبه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرهم ، وهذه تابعة لمحبة الله ومكَملة لها .

الثالث : محبَّة مع الله وهى محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم من شجر ، وحجر ، وبشر ، وملك ، وغيرها وهى أصل الشرك وأساسه .

وهنا قسم رابع : وهو المحبة الطبيعية التى تتبع ما يلائم العبد ويوافقه من طعام وشراب ونكاح ولباس وعشرة وغيرها ، وهذه إذا كانت مباحة ، فإن أعانت على محبَّة الله وطاعته دخلت فى باب العبادات ، وإن صَدَّت عن ذلك وتُوُسِّلَ بها إلى مالا يحبه الله دخلت فى المنهيات ، وإلا بقيت من أقسام المباحات. والله أعلم .

باب قول الله تعالى

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[١].

وقوله : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَآتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ الآية[٢].

وقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ الآية[٣].

(باب قول الله تعالى)
﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ ﴾ الآية

هذا البـاب عَقَدَهُ المصنفُ رحمه الله لوجوب تعلق الخوف والخشية بالله وحده ، والنهى عن تعلقه بالمخلوقين ، وبيان أنه لا يتم التوحيد إلا بذلك .

ولابد فى هذا الموضع من تفصيل يتضح به الأمرُ ويزول الأشتباه .

اعلم أن الخوفَ والخشية تارةً يقع عبادة ، وتارة يقع طبيعة وعادة وذلك بحسب أسبابه ومتعلقاته .

فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد وتقرب بذلك الخوف إلى من يخافه وكان يدعو إلى طاعةٍ باطنة وخوف سِرِّى يزجُرُ عن معصية من يخافه كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان وتعلقه بغير الله من الشرك

---

(١) صدر الآية ١٧٥ : آل عمران .

(٢) الآية ١٨ : التوبة .

(٣) صدر الآية ١٠ : العنكبوت .

وعن أبي سعيد رضىَ الله عنْه مرفوعًا « إنَّ مِنْ ضَعْفِ اليَقِين أن تُرْضِيَ النَّاسَ بسخط اللهِ ، وأن تحْمَدَهُمْ على رِزْقِ ٱللهِ ، وأن تذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ الله ، إنَّ رِزْق الله لا يَجُرُّهُ حرْصُ حَرِيصٍ ، وَلَا يَرُدُّه كراهيةُ كَارِه » .

وعن عائشة رضى الله عنها : أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « مَنْ التَمَسَ رِضى اللهِ بسخط النَّاس رضِيَ الله عَنْهُ وأَرْضَى عنْهُ النَّاسَ ، ومن التَمَسَ رضا النَّاسِ بسخط الله سَخِطَ اللهُ عليْه وأسْخَطَ عَلَيْهِ الناسَ » رواه ابن حبان فى صحيحه .

الأكبر الذى لا يغفره الله ، لأنه أشرك فى هذه العبادة التى هى من أعظم واجبات القلب غيرَ الله مع الله ، وربما زاد خوفه من غير الله على خوفه الله.

وأيضا فمن خشىَ الله وحدَه على هذا الوجه فهو مخلصٌ موحدٌ ومن خشى غيرَه فقد جعل لِلهِ نِدًّا فى الخشية كمن جعل لله نِدًّا فى المحبة . وذلك كمن يخشى من صاحب القبر أن يوقع به مكروهًا أو يغضب عليه فيسلبه نعمة أو نحو ذلك مما هو واقع مِنْ عُبَّاد القبور .

وإن كان الخوف طبيعيًّا كمن يخشى من عدو أو سبع أو حية أو نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهرى ، فهذا النوع ليس عبادة وقد يوجد من كثير من المؤمنين ولا ينافى الإيمان .

وهذا إذا كان خوفاً محققا قد انعقدت أسبابه فليس بمذموم .

وإن كان هذا خوفاً وهميًّا كالخوف الذى ليس له سبب أصلا ، أو له سبب ضعيف فهذا مذموم يدخل صاحبه فى وصف الجبناء ، وقد تَعَوَّذَ ﷺ

فيـــه مســائل

الأولى : تفسيرآية آل عمران .
الثانية : تفسير آية براءة .
الثالثة : تفسير آية العنكبوت .
الرابعة : أن اليقين يضعف ويقوى .
الخامسة : علامة ضعفه ، ومن ذلك : هذه الثلاث .
السادسة : أن إخلاص الخوف لله من الفرائض . .
السابعة : ذكر ثواب من فعله .
الثامنة : ذكر عقاب من تركه .

باب قول الله تعالى

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ الآية(١) .
وقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية(٢) .

من الجبن فهو من الأخلاق الرذيلة ، ولهذا كان الإيمان التام والتوكل والشجاعة تدفع هذا النوع ، حتى أن خواص المؤمنين وأقويائهم تنقلب المخاوف في حقهم أمنا وطمأنينة لقوة إيمانهم وشجاعتهم الشجاعة القلبية ، وكمال توكلهم ، ولهذا أتبعه بهذا الباب .

---

(١) آخر الآية ٢٣ : المائدة .
(٢) صدر الآية ٢ : الأنفال .

وقوله : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[1] .

وعن ابن عباس قال : (حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ) قالها إبراهيم عليه السلام حينَ أُلْقِيَ فِي النَّار ، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا له : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴾ الآية[2] رواه البخاري والنسائي .

فيـــه مســـائل

الأولى : أن التوكل من الفرائض .

الثانية : أنه من شروط الإيمان .

الثالثة : تفسير آية الأنفال .

الرابعة : تفسير الآية في آخرها .

(باب قول الله تعالى)
﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ الآية

التوكل على الله مِنْ أعظم واجبات التوحيد والإيمان ، وبحسب قوة توكل العبد على الله يَقْوَىٰ إيمانه ، ويتم توحيده ، والعبد مضطر الى التوكل على الله والاستعانة به في كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه .

وحقيقة التوكل على الله : أن يعلم العبدُ أن الأمرَ كلَّه لله . وأنه ما شاء الله كان ، وَمَا لم يشأ لم يكن ، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع ،

---

(١) من الآية ٣ : الطلاق .

(٢) الآية ١٧٣ : آل عمران .

الخامسة : تفسير آية الطلاق .

السادسة : عِظَمُ شأن هذه الكلمة ، وأنها قولُ إبراهيم عليه السلام ومحمدٌ ﷺ فى الشدائد .

باب قول الله تعالى

﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ؟ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾(١).

وقوله : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾(٢).

وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه فى جلب مصالح دينه ودنياه ، وفى دفع المضار ويثق غاية الوثوق بربه فى حصول مطلوبه ، وهو مع هذا باذل جهده فى فعل الأسباب النافعة .

فمتى استدام العبدُ هذا العلمَ وهذا الاعتماد والثقة فهو المتوكل على الله حقيقة ، وليبشر بكفاية الله له ووعده للمتوكلين ، ومتى علق ذلك بغير الله فهو مشرك ، ومن توكل على غير الله وتعلق به وكل إليه وخاب أمله .

(باب قول الله تعالى)
﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾

مقصود الترجمة أنه يجب على العبد أن يكون خائفا من الله ، راجيا له راغبًا راهبًا ، إن نظر إلى ذنوبه وعَدْلِ الله وشدة عقابه خَشِىَ ربه

---

(١) من الآية ٩٩ : الأعراف .

(٢) الآية ٥٦ : الحجر .

وعن ابن عباس : « أن رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عن الكبَائِرِ فقال : « الشِرْكُ بالله ، واليأْسُ مِنْ رَوْح اللهِ ، والأَمْنُ مِنْ مَكْرِ الله » .

وعن ابن مَسْعُود قال : أكبر الكَبَائر : الإشرَاكُ بالله والأمنُ من مَكْرِ الله والقنُوطُ من رحْمَةِ الله واليأسُ من روْح الله » رواه عبد الرزاق .

وخافه ، وإن نظر إلى فضله العام والخاص وعفوه الشامل رَجَا وطمعَ ، إن وُفِّقَ لطاعة رجَا من ربه تمامَ النعمة بقبولها وخاف من ردها بتقصيره فى حقها . وإن ابْتُلِىَ بمَعْصِيَةٍ رَجَا من ربه قبولَ توبته ومحوها وخشِىَ بسبب ضعف التوبة والالتفات للذنب أن يعاقبَ عليها ، وعند النعم واليسار يرجو الله دوامها والزيادة منها والتوفيق لشكرها ، ويخشى بإخلاله بالشكر مِنْ سَلْبِهَا ، وعند المكاره والمصائب يرجو الله دفعَهَا وينتظر الفرج بحلها ، ويرجو أيضًا أن يثيبه الله عليها حين يقوم بوظيفة الصبر ويخشى من اجتماع المصيبتين فوات الأجر المحبوب ، وحصول الأمر المكروه إذا لم يوفق للقيام بالصبر الواجب ، فالمؤمن الموحد فى كل أحواله ملازم للخوف والرجاء ، وهذا هو الواجب وهو النافع ، وبه تحصل السعادة . ويُخْشَىٰ على العبد من خُلُقَيْنِ رذيلين :

(أحدهما) أن يَسْتَولِىَ عليه الخوفُ حتى يقنطَ من رحمة الله وروحه .

(الثانى) أن يتجارى به الرجاء حتى يأمن مكر الله وعقوبته فمتى بلغت به الحال إلى هذا فقد ضيع واجب الخوف والرجاء اللذين هما من أكبر أصول التوحيد وواجبات الإيمان .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير آية الاعراف .

الثانية : تفسير آية الحجر .

الثالثة : شدة الوعيد فيمن أمِنَ مكرَ الله .

الرابعة : شدة الوعيد فى القنوط .

وللقنوط من رحمة الله واليأس من روحه سببان محذوران .

(أحـدهما) أن يُسْرف العبدُ على نفسه ويتجرأ على المحارم فيصر عليهـا ويصمِّمَ على الإقـامـة على المعصيـة ، ويقطع طمعه من رحمة الله لأجل أنه مقيم على الأسباب التى تمنع الرحمة فلا يزال كذلك حتى يصير له هذا وصفًا وخلقًا لازمًا . وهذا غاية ما يريده الشيطان من العبد . ومتى وصل إلى هذا الحد لم يُرْجَ له خيرٌ إلا بتوبة نصوح وإقلاع قوى .

(الثانى) أن يقوى خوفُ العبد بما جنت يداه من الجرائم ويضعف علمـه بما لله من واسـع الرَّحمـة والمغفرة ويظن بجهله أن الله لا يغفر له ولا يرحمه ولو تاب وأناب وتضعف إرادته فييأس من الرحمة ، وهذا من المحاذير الضـارة النـاشئـة من ضعف علم العبـد بربه ، وما له من الحقوق ، ومن ضعف النفس وعجزها ومهانتها .

فلو عرف هذا ربَّه ولم يخلد إلى الكسل لَعَلِمَ أنَّ أدنى سَعْيٍ يوصله إلى ربه وإلى رحمته وجوده وكرمه .

وللأمن من مكر الله أيضًا سببان مهلكان :

(أحـدهما) إعـراضُ العبد عن الدِّين وغفلته عن معرفة ربه وما له من الحقـوق ، وتهـاونـه بذلك فلا يزال مُعْرضًا غَفْلاً مُقَصِّرًا عن الواجبات منهمكا فى المحرمات حتى يضمحل خوف الله من قلبه ولا يبقى فى قلبه من

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى ﴿ وَمَنْ يُؤْمِن بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾[1] .

قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فَيَعْلم أنَّهَا مِنْ عِند الله فيرضَى ويسلم .

وفى صحيح مسلم . عن أبي هريرة : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال : « اثنتان فى الناس هُما بهم كُفُر : الطعْنُ في النَّسب والنِّياحة على الميِّت » .

الإيمان شيء لأن الإيمان يحمل على خوف الله وخوف عقابه الدنيوى والأخروى .

السبب الثانى أن يكون العبد عابدًا جاهلاً مُعْجَبًا بنفسه مغرورًا بعمله فلا يزال به جهله حتى يُدِلَّ بعمله ويزولَ الخوف عنه ، ويرى أن له عند الله المقامات العالية فيصير آمنًا من مكر الله متكلاً على نفسه الضعيفة المهينة ، ومن هُنا يُخْذَلُ ويُحَالُ بينه وبين التوفيق إذ هو الذى جنى على نفسه .

فبهذا التفصيل تعرف منافاة هذه الأمور للتوحيد .

(باب من الإيمان بالله الصَّبْرُ عَلَى أقدار الله)

أما الصَّبْرُ على طاعة الله ، والصبر عن معصيته ، فهو ظاهر لكل أحد أنهما من الإيمان بل هما أساسه وفرعه . فإن الإيمان كله صبر على ما يحبه الله ويرضاه ويقرب إليه ، وصبر عن محارم الله .

---

(١) من الآية ١١ : التغابن .

ولهمـا عن ابن مسعـود مرفوعًا : « ليسَ منَّا منْ ضَرَبَ الخُدُودَ وَشَقَّ الجُيُوبَ ، ودَعَا بدَعْوَى الجَاهِلِيَّةَ » .

وعن أنس أن رسـولَ الله ﷺ قال : « إذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْـدِهِ الْخَيْرَ عَجَّـلَ لَهُ بالعُقُـوبَةِ في الدُّنْيا ، وإذَا أرادَ بعَبْده الشرَّ أمْسَك عنْه بذنبه حتَّى يُوافِيَ به يوْمَ القيامة » .

وقال النبي ﷺ : « إنَّ عِظَمَ الجَزَاء مَعَ عِظَمِ البَلَاء ، وإنَّ الله تعالى إذَا أحَبَّ قومًا ابتلاهم فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، ومَنْ سَخِطَ فلهُ السخْط » حسنه الترمذى .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير آية التغابن .

الثانية : أن هذا من الإيمان بالله .

الثالثة : الطعن فى النسب .

فإن الدين يدور على ثلاثة أصول :

تصديقُ خبر الله ورسوله، وامتثالُ أمر الله ورسوله ، واجتنابُ نهيهما .

فالصبر على أقدار الله المؤلمة داخلٌ فى هذه العموم ولكن خُصَّ بالذكر لشدة الحاجة إلى معرفته والعمل به .

فإن العبد متى علم أن المصيبة بإذن الله ، وأن الله أتم الحكمة فى تقديرها ، وله النعمة السابغة فى تقديرها على العبد ، رضِيَ بقضاء الله وسلَّم لأمره وصَبَرَ على المكاره ، تقرُّبًا إلى الله ورجاءً لثوابه وخوفًا من عقابه واغتنامًا لأفضل الأخلاق ، فاطمأن قلبه وقوى إيمانه وتوحيده .

الـرابعة : شدة الوعيد فيمن ضَرَبَ الخدودَ وشَقّ الجيوب ودَعَا بدعوى الجاهلية .

الخامسة : علامة إرادة الله بعبده الخير .

السادسة : علامة إرادة الله بعبده الشر .

السابعة : علامة حب الله للعبد .

الثامنة : تحريم السخط .

التاسعة : ثواب الرضا بالبلاء .

باب ما جاء فى الرياء

وقـول الله تعـالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَـا أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ الآية[1] .

(باب ما جاء فى الرياء . . ثم قال :)
(باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا)

اعلم أن الإخـلاص لله أسـاس الدين ، وروح التوحيد ، والعبادة وهو أن يَقْصِدَ العبدُ بعمله كلّه وَجْهَ الله ، وثوابه ، وفضله ، فيقوم بأصول الإيـمان الستـة وشـرائـع الإسـلام الخمس ، وحقـائق الإيـمان التى هى الإحسان . وبحقوق الله . وحقوق عباده . مكملا لها قاصدًا بها وجْهَ الله والدار الآخرة، لا يريد بذلك رياءً ولا سمعةً ولا رياسةً، ولا دنيا، وبذلك يتم إيمانه وتوحيده .

---

(١) الآية ١١٠ : الكهف .

وعن أبي هريرة مرفوعًا : قال الله تعالى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْك ، منْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ معي فيه غَيْرِي تركْتُهُ وشِرْكه . رواه مسلم .

وعن أبي سعيد مرفوعا : (ألا أُخْبركم بِمَا هُو أخْوفُ عليْكُم عندي من المسيح الدَّجَّال ؟ قالوا : بلى ، قال : الشرْك الخفيُّ يقوم الرجلُ فيصلِّي فيزينُ صَلَاتَهُ ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ) . رواه أحمد .

ومن أعظم ما ينافى هذا مراءآة الناس والعمل لأجل مدحهم وتعظيمهم ، أو العمل لأجل الدنيا ، فهذا يقدح فى الإخلاص والتوحيد .

وأعلم أن الرياء فيه تفصيل :

فإن كان الحامل للعبد على العمل قصد مراءآة الناس واستمر على هذا القصد الفاسد فعمله حابط وهو شرك أصغر . ويُخْشَىٰ أن يتذرع به إلى الشرك الأكبر .

وإن كان الحامل للعبد على العمل إرادة وجه الله مع إرادة مراءآة الناس ، ولم يقلع عن الرياء بعمله ، فظاهر النصوص أيضا بطلان هذا العمل .

وإن كان الحامل للعبد على العمل وجه الله وحده ، ولكن عرض له الرياء فى أثناء عمله ، فإن دَفَعَهُ وخلص إخلاصه لله لم يضره ، وإن ساكنه واطمأن إليه نقص العمل وحصل لصاحبه من ضعف الإيمان والإخلاص بحسب ما قام فى قلبه من الرياء ، وتقاوم العمل لله وما خالطه من شائبة الرياء .

والرياء آفة عظيمة ويحتاج إلى علاج شديد وتمرين النفس على

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير آية الكهف .

الثـانيـة : الأمـر العظيم فى رَدِّ العَمَـل الصَّالح إذا دَخَلَهُ شىء لغَيْرِ الله .

الثالثة : ذكر السبب الموجب لذلك ، وهو كمال الغنى .

الرابعة : أن من الأسباب أنه خير الشركاء .

الخامسة : خوف النبي ﷺ على أصْحَابه من الرياء .

السـادسـة : أنه فسر ذلك ـ بأن المرْءَ يُصَلِّى لله لكن يزينها لما يرى من نظر رجُل .

الإخـلاص ومجـاهـدتهـا فى مدافعـة خواطـر الـريـاء والأغـراض الضـارة والاستعانة بالله على دفعها لعل الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده .

وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها .

فإن كانت إرادة العبـد كلهـا لهذا القصـد ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة فهذا ليس له فى الآخرة من نصيب .

وهـذا العمـل على هذا الـوصف لا يصدر من مؤمن ، فإن المؤمن ولو كان ضعيف الإيمان لابد أن يريد الله والدار الآخرة .

وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا ، والقصدان متساويان أو متقاربان فهذا وإن كان مؤمنا فإنه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص ، وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص .

وأما من عمل لله وحده وأخلص فى عمله إخلاصًا تاما ولكنه يأخذ على عمله جعـلاً ومعلومـًا يستعـين به على العمـل والدين ، كالجعالات التى تجعل على أعمال الخير ، وكالمجاهد الذى يترتب على جهاده غنيمة

باب : مِنَ الشّرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ الآيتين[1].

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال : (قال رسولُ الله ﷺ : تَعِسَ عَبْدُ ٱلدِّينَارِ ، تعس عبْدُ الدِّرهم ، تعس عبْدُ الخَمِيصَة ، تعس عبْدُ الخَميلة إن أُعْطِيَ رَضِيَ وَإن لَمْ يُعْطَ سَخِطَ ، تعس وانْتكس ، وإذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ . طُوبَى لعَبْد آخذٍ بعنَانِ فرسهِ في سَبِيلِ الله ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ ، مُغْبَرَّة قدماهُ إن كان في الحراسة ، كان في الحِراسَة وإن كان في السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ إن اسْتأْذن لم يُؤْذَنْ لهُ . وإن شَفَعَ لم يُشَفَّعْ) .

فيـــه مســـائل

الأولى : إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة .

الثانية : تفسير آية هود .

الثالثة : تسمية الإنسانِ المسْلم عبد الدينار والدرهم والخميصة .

أو رزق ، وكالأوقاف التى تجعل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها ، فهذا لا يضر أخذه فى إيمان العبد وتوحيده لكونه لم يرد بعمله الدنيا ، وإنما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له معينًا له على قيام الدين .

---

(١) الآيتان ١٥ ، ١٦ : هود .

الرابعة : تفسير ذلك بأنه أن أُعْطِيَ رَضِيَ ، وإن لَمْ يُعْطَ سخط .

الخامسة : (قوله تعس وانتكس) .

السادسة : قوله (وإذا شِيكَ فلا انتقش) .

السابعة : الثناء على المُجَاهِدِ الموصوف بتلك الصفات .

باب من أطاع العلماءَ والأمراءَ في تحريم ما أَحَلَّ اللهُ أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا

وقال ابن عباس : يُوشِكُ أن تنزلَ عليكم حجارةٌ من السماء ، أقول قال رسولُ الله ﷺ ، وتقولون : قال أَبُو بكر وعمر ؟ .

وقال أحمد بن حنبل : عَجِبْتُ لِقَوْم عَرَفُوا الإسنادَ وصحَّته يذْهَبُون الى رأى سفيان ، والله تعالى يقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] ،

ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية كالزكوات وأموال الفيء وغيرها جزءا كبيرًا لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة ، كما قد عرف تفاصيل ذلك .

فهذا التفصيل يبين لك حكم هذه المسألة كبيرة الشأن ، ويوجب لك أن تُنزل الأمور منازلها والله أعلم .

---

(١) من الآية ٦٣ : النور .

أتدرى ما الفتنة ، الفتنة الشرك ، لعلَّه إِذَا رَدَّ بعض قوله أن يقع فى قلبه شىء من الزيغ فيهلك .

وعن عدى بن حاتم : « أنه سمع النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هذه الآية : ﴿ اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية[1].

فقلت له إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ . قال : أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ ، وَيُحِلُّونَ ما حَرَّم الله فَتُحِلُّونَهُ . فقلت : بلى ، قال : فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ » . رواه أحمد والترمذى وحسنه .

(باب من أطاع العلماء والأمراء فى تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرَّمه فقد اتخذهم أربابا)

(باب قول الله تعالى)

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾

ووجه ما ذكره المصنف ظاهرٌ ، فإنَّ الربَّ ، والإلٰه هو الذى له الحكم القَدَرى ، والحكم الشرعى ، والحكم الجزائى ، وهو الذى يُؤَلَّهُ ويُعْبَدُ وحْده لا شريكَ له ويُطاع طاعةً مطلقة فلا يُعْصَى بحيث تكون الطاعات كلها تبعا لطاعته . فإذا اتخذ العبدُ العلماءَ والأمراءَ على هذا الوجه ، وجَعَل طاعتَهم هى الأصلُ وطاعةَ الله ورسوله تبعًا لها فقد اتخذهم أربابًا من دون الله يتأهلهم ويتحاكم إليهم ويقدم حكمهم على حكم الله ورسوله ، فهذا هو الكفر بعينه . فإن الحكم كلَّه لله ، كما أن العبادة كلَّها لله .

---

(١) صدر الآية ٣١ : التوبة .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير آية النور .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : التنبيه على معنى العِبَادة التى أنكرها عدى .

الرابعة : تمثيلُ ابن عباس بأبي بكر وعمر ، وتمثيل أحمد بسفيان .

الخامسة : تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صَار عند الأكثر عبادة الرهبان هى أفضل الأعمال ، وتسمى الولاية ، وعبادة الأحبار هى العلم والفقه ، ثم تغيرت الأحوال إلى أن عُبد من دون الله من لَيْسَ من الصَّالِحِينَ ، وعُبِدَ بِالْمَعْنَى الثانى من هو من الجاهلين .

بـاب قـول الله تعالى

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ

والواجب على كل أحد أن لا يتخذ غير الله حَكَمًا ، وأن يُرُدَّ ما تنازع فيه الناس إلى الله ورسوله ، وبذلك يكون دين العبد كله لله وتوحيده خالصًا لوجه الله .

وكل من حاكم إلى غير حكم الله ورسوله فقد حاكم إلى الطاغوت ، وإن زعم أنه مؤمن فهو كاذب .

فالإيمان لا يصح ولا يتم إلا بتحكيم الله ورسوله فى أصول الدين وفروعه ، وفى كل الحقوق كما ذكره المصنف فى الباب الآخر .

فمن تحاكم إلى غير الله ورسوله فقد اتخذ ذلك ربا وقد حاكم إلى الطاغوت .

أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ، وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ، وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلاَۢ بَعِيدًا ﴾ الآيات[1] .

وقوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾[3] .

وقوله : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ ؟ الآية[4] .

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تبعًا لِمَا جِئْتُ بِهِۦ» قال النووي : حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح .

وقال الشعبي : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة ، فقال اليهودي : نتحاكمُ إلى محمدٍ ، عرف أنه لا يأخذ الرِّشْوَة ، وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود ، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ، فاتفقَا أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكمَا إليه ، فنزلت : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ الآية .

وقيل : نزلت في رَجُلَيْنِ اختصَمَا ، فقال أحدُهما : نترافع إلى النبي ﷺ . وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف ، ثم ترافعا إلى عُمَرَ ، فذكر له أحدُهما القصة فقال للذي لم يرْضَ برسولِ الله ﷺ أكذلك ؟ قال : نعمْ ، فَضَرَبَهُ بالسيف فقتله » .

---

(١) آية ٦٠ وما بعدها : النساء .

(٢) آية ١١ : البقرة .

(٣) صدر الآية ٥٦ : الأعراف .

(٤) صدر الآية ٥٠ : المائدة .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت .

الثـانيـة : تفسيـر آيـة البقرة ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ . الآية .

الثالثة : تفسير آية الأعراف ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ .

الرابعة : تفسير ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ .

الخامسة : ما قاله الشعبي فى سبب نزول الآية الأولى .

السادسة : تفسير الإيمان الصَّادق والكاذب .

السابعة : قصة عمر مع المنافق .

الثـامنـة : كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ .

(باب جحد شيئا من الأسماء والصفات)

وقول الله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ الآية[1] .

وفى صحيـح البخـارى : قال علي : « حَدِّثُوا ٱلنَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُرِيدُونَ أَن يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ » ؟

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عبـاس « أنـهُ رَأَىٰ رَجُـلًا انتفض لمَّـا سَمِـعَ حَدِيثًا عن النبي ﷺ فى

(١) من الآية ٣٠ : الرعد .

الصِّفات استنكارًا لذلك ، فقال : ما فَرَّقَ هَٰؤُلَآءِ ؟ يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند مُتشابهه » ؟ انتهى .

ولما سمعت قريشٌ رسول الله ﷺ يذكرُ الرحمَٰن أنكروا ذلك فأنزل الله فيهم : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ .

فيــــه مســائل

الأولى : عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات .

الثانية : تفسير آية الرعد .

الثالثة : ترك التحديث بما لا يَفْهَمُ السامع .

الـرابعـة : ذكر العلة ، أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ، ولو لم يَتَعَمَّد المنكِرُ .

الخامسة : كلام ابن عباس لمن استنكر شيئًا من ذلك ، وأنه أهلكه .

(باب جحد شيئا من الأسماء والصفات)

أصـل الإيـمان وقـاعـدتـه التي ينبني عليهـا هو الإيـمان بالله ، وبأسمائه ، وصفاته .

وكلما قوي علمُ العبـد بذلـك وإيـمانـه به ، وتعبد لله بذلك ، قوي توحيده ، فإذا علم أن الله متوحد بصفات الكمال متفرد بالعظمة والجلال والجمال ليس له في كمالـه مثيل ، أوجب له ذلك أن يعرف ويتحقق أنه هو الإلـه الحق ، وأن إلهيـة ما سواه باطلة ، فمن جحـد شيئًـا من أسـماء الله وصفاته فقد أتى بما يناقض التوحيد وينافيه ، وذلك من شعب الكفر .

بـــاب قول الله تعالى

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ الآية[1].

قال مجاهد ما معناه « هو قول الرجل : هذا مَالِى ، ورثته عن آبائى » .

وقال عون بن عبد الله لَوْلَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا .

وقال ابن قتيبة ـــ يقولون ـــ هذا بشفَاعَة آلهتنا .

وقال أبو العباس : « بعد حديث زيد بن خالد » الذى فيه « وأن الله تعالى قال : أصْبَح منْ عِبادي مُؤمِنٌ بي وكافر » الحديث وقد تقدم ـــ وهذا كثير فى الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيف إنعَامَهُ إلى غيره ويشرك به .

وقال بعض السلف ـــ هو كقولهم كانت الرِّيحُ طيبة والملاح حَاذِقًا ، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثيرة .

باب قول الله تعالى
﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾

الواجب على الخلق إضافة النعم إلى الله قولًا واعترافًا كما تقدم وبذلك يتم التوحيد ، فمن أنكر نعم الله بقلبه ولسانه فذلك كافر ليس معه من الدين شيء .

ومن أقر بقلبه أن النعم كلها من الله وحده ، وهو بلسانه تارةً يضيفها إلى الله ، وتارةً يضيفها إلى نفسه وعمله وإلى سعى غيره كما هو جارٍ على ألسنة كثير من الناس ، فهذا يجب على العبد أن يتوب منه وأن

(1) صدر الآية ٨٣ : النحل .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير معرفة النعمة وإنكارها .

الثانية : معرفة أن هذا جارٍ على ألْسِنَةٍ كثيرة .

الثالثة : تسمية هذا الكلام إنكارًا لِلنِّعْمَةِ .

الرابعة : اجتماع الضدين فى القلب .

بـــاب قـول الله تعالى

﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(1)

قال ابن عباس فى الآية : « الانداد هو الشرك ، أخفى من دبيب النمل على صَفاة سوداء فى ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله وحَيَاتك يافلان وحياتى ، وَتَقُول لولا كُلَيْبَة هذا لأتانا اللُّصُوص ، ولولا البط فى الدار لأتانا اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت . وقولُ الرَّجُلِ : لولا الله وفلان ، لا تجْعَل فيهَا فُلانًا ، هذا كله به شِرْك » رواه ابن أبي حاتم .

لا يضيف النعمَ إلا إلى مُوليها وأن يجاهدَ نفسه على ذلك ولا يتحقق الإيمان إلا بإضافة النعم إلى الله قولاً واعترافاً .

فإن الشكر الذى هو رأس الإيمان مبنى على ثلاثة أركان :

اعتراف القلب بنعم الله كلها عليه وعلى غيره .

والتحدث بها والثناء على الله بها .

والاستعانة بها على طاعة المنعم وعبادته ، والله أعلم .

---

(1) من الآية ٢٢ : البقرة .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ » رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم .

وقال ابن مسعود : « لأن أَحْلِفَ بالله كَاذِبًا أحبُّ إلَّي من أن أَحْلِفَ بغيره صَادِقًا » .

وعن حذيفة رضى الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا تقُولُوا ما شاء الله ومَا شَاءَ فُلان ولكن قولوا : مَا شَاءَ الله ثُمَّ شاءَ فُلَانٌ » رواه أبو داود بسند صحيح .

وجاء عن إبراهيم النخعى : أنه يَكره أَعُوذ بالله وَبِكَ . ويجوز أن يَقُولَ بالله ثم بك ، قال وَيَقُولُ لَوْلَا الله ثُمَّ فُلان ، ولا تقولوا لولا الله وفلان .

باب قول الله تعالى
﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

الترجمة السابقة على قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ الآية ، يقصد بها الشرك الأكبر بأن يجعل لله نِدًّا فى العبادة والحب والخوف والرجاء وغيرها من العبادات .

وهذه الترجمة المراد بها الشرك الأصغر كالشرك فى الألفاظ كالحلف بغير الله ، وكالتشريك بين الله وبين خلقه فى الألفاظ كلولا الله وفلان وهذا بالله وبك ، وكإضافة الأشياء ووقوعها لغير الله كلولا الحارس لاتانا اللصوص ، ولولا الدواء الفلانى لهلكت . ولولا حذق فلان فى المكسب الفلانى لما حصل . . . فكل هذا ينافى التوحيد .

فيـــه مســـائل

الأولى : تفسير آية البقرة فى الأنداد .

الثـانيـة : أن الصَّحَـابة يفسِّرون الآية النازلة فى الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر .

الثالثة : أن الحلف بغير الله شرك .

الرابعة : أنه إذا حلف بغير الله صادقًا فهو أكبر من اليمين الغموس .

الخامسة : الفرق بين الواو وثم فى اللفظ .

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن عمـر ـــ أن رسـولَ الله ﷺ قال : (لا تَحْلِفُوا بآبائكم،مَنْ حَلَفَ بالله فلْيـصْـــدُقْ ومـنْ حُلف لهُ بالله فَلْيـَرْض ، ومن لمْ يرْض فليْسَ مِنَ الله) رواه ابن ماجه بسند حسن .

والـواجب أن تضـاف الأمـورُ ووقوعها ونفع الأسباب إلى إرادة الله وإلى الله ابتداء ، ويذكر مع ذلك مرتبة السبب ونفعه ، فيقول لولا الله ، ثم كذا ليعلم أن الأسباب مربوطة بقضاء الله وقدره .

فلا يتم توحيدُ العبد حتى لا يجعل لله نِدًّا فى قلبه وقوله وفعله .

(باب من لم يقنع فى الحلف بالله)

ويراد بهذا إذا توجهت اليمين على خصمك وهو معروف بالصدق أو ظاهـره الخـير والعـدالـة ، فإنه يتعين عليك الرضا والقناعة بيمينه لأنه

فيـــه مســائل

الأولى : النهى عن الحلف بالآباء .

الثانية : الأمر للمَحْلُوف له بالله أن يرضى .

الثالثة : وعيد من لم يرض .

باب قول (ما شاء الله وشئت)

عن قتيلة ــ (أن يهوديًّا أتَى النبيَّ ﷺ فَقَالَ إنكم تشركون تقولون ما شَاءَ اللهُ وشِئْتَ . وتقولون : والكَعْبَة : فأمَرَهُمُ النَّبيُّ ﷺ

ليس عندك يقين يعارض صدقه .

وما كان عليه المسلمون من تعظيم ربهم وإجلاله يوجب عليك أن ترضى بالحلف بالله .

وكذلك لو بذلت له اليمين بالله فلم يرض إلا بالحلف بالطلاق أو دعاء الخصم على نفسه بالعقوبات فهو داخل فى الوعيد لأن ذلك سوء أدب وترك لتعظيم الله ، واستدراك على حكم الله ورسوله .

وأما مَنْ عُرف منه الفجور والكذب حلف على ما تيقن كذبه فيه فإنه لا يدخل تكذيبه فى الوعيد للعلم بكذبه ، وأنه ليس فى قلبه من تعظيم الله ما يطمئن الناس إلى يمينه فتعين إخراج هذا النوع من الوعيد لأن حالته متيقنة والله أعلم .

(باب قول ما شاء الله وشئت)

هذه الترجمة داخلة فى الترجمة السابقة ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ .

إذا أرادوا أن يَحْلِفُوا أن يقُولُوا : وَرَبِّ الكَعْبَة وأَن يَقُولُوا : (مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ) . رواه النسائي وصححه .

ولـه أيضًا عن ابن عباس « أن رَجُلاً قَالَ للنبي ﷺ مَا شَآءَ الله وَشِئْتَ فقال أجَعَلْتَنِي لِلهِ نِدًّا ؟ بل مَا شَآءَ اللهُ وَحْدَهُ » .

ولابن ماجه عن الطفيل أخى عائشة لأمها قال : (رَأَيْتُ كأني أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ ــ قلت : إنكم لأنتُمُ القَوْم لَوْلَا أنكم تقولون عزيرٌ ابن الله . قالوا : وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ــ ما شاء الله وشَاءَ مُحَمَّدٌ . ثم مرَرْت بنفر من النصَارى فقلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله . قالوا : وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء مُحَمَّدٌ ، فَلَمَّا أصْبَحْتُ أخبَرْتُ بهَا مَنْ أخبرت ، ثم أتيتُ النبيَّ ﷺ فأَخْبَرْتُه . قال : هل أخْبَرْتَ بها أحدًا ؟ قلت : نعم . قال فحَمِدَ الله وأثنَى عليه ثم قال : أما بَعْدُ فإنَّ طفيلا رأى رُؤْيَا أخْبَرَ بهَا مَنْ أخبَرَ منكم . وأنكم قلتم كلمةً يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنْها . فَلَا تَقُولُوا مَا شَاءَ الله وشَاءَ مُحَمَّدٌ . ولكن قُولوا ما شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ) .

فيـــه مســائل

الأولى : معرفة اليَهُود بالشرك الأصغر .

الثانية : فهْم الإنسان إذا كان له هوى .

الثالثة : قوله ﷺ : « أجَعَلْتَنِي لِله نِدًّا » فكيف بمن قال : « يا أَكْرَمَ الخلق مَا لِي مَنْ ألوذ به سِوَاك » والبيتين بعده .

الرابعة : أن هذا ليسَ مِنَ الشرك الأكبر . لقوله «يمنعني كذا وكذا » .

الخامسة : أن الرؤْيَا الصَّالحة من أقسام الوحي .

السادسة : أنها قد تكون سَبَبًا لشرع بعض الأحكام .

باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقـول الله تعـالى : ﴿ وَقَـالُواْ : مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ الآية[1] .

وفى الصحيـح عن أبي هريـرة عن النبي ﷺ قال : (قالَ الله تَعَالَى يُؤْذِينِي ابنُ آدم . يَسُبُّ الدَّهْرَ وأنا الدَّهْرُ أُقلِّبُ اللَّيل والنَّهار) .

وفى رواية « لا تسُبُّوا الدَّهْرَ . فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ » .

(باب من سب الدهر فقد سب الله)

وهـذا واقـعٌ كثيراً فى الجاهلية ، وتبعهم على هذا كثير من الفسّاق والمجّـان والحمْقى إذا جَرَتْ تصَـاريف الـدَّهر على خلاف مُرادهم جعلوا يسبون الدَّهْرَ والوقت ، ورُبما لعنوه . وهذا ناشىء من ضعف الدين ومن الحمق والجهل العظيم ، فَإن الدَّهر ليس عنده من الأمر شىء ، فانه مُدَبَّر مُصَـرَّف والتصـاريف الواقعة فيه تدبير العزيز الحكيم ، ففى الحقيقة يقع العيبُ والسبُّ على مدبره .

---

(١) صدر الآية ٢٤ : الجاثية .

فيـــه مســائل

الأولى : النَّهْيُ عَن سَبِّ الدَّهْرِ .

الثانية : تسْمِيته أذى لله .

الثالثة : التأمل فى قوله : « فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ » .

الرابعة : أنه قد يكون سَابًّا . ولو لم يقصده بقلبه .

باب التَّسَمِّى بقاضِى القُضَاة ونحوه

فى الصَّحِيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ . لَا مَالِكَ إِلَّا الله » .

قال سفيان : مثل شاهان شاه .

وفى روايـة : « أَغْيَظُ رَجُلٍ على اللهِ يوْمَ القِيَامَةِ وأَخْبَثُهُ » .

قوله : (أخنع) يعنى : أوضع .

وكما أنـه نقص فى الـدِّين فهـو نقص فى العقـل فيـه تزداد المصائب ويعظم وقعها ويغلق بابُ الصَّبْرِ الواجب ، وهذا مناف للتوحيد .

أمـا المـؤمن فإنـه يعلم أن التصـاريف واقعـة بقضـاء الله وقـدره وحكمته ، فلا يتعرض لعيب ما لم يعبه الله ولا رسوله ، بل يرضى بتدبير الله ويسلِّمُ لأمره وبذلك يتم توحيده وطمأنينته .

(باب التســمى بقـاضى القضـاة ونحــوه وباب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لذلك)

وهـاتـان الـترجمتـان من فروع البـاب السابق . وهو أنه يجب أن لا يُجْعَلَ لله نِدٌّ فى النيـات والأقـوال والأفعال . فلا يُسَمَّى أحدٌ باسم فيه نوع

فيـــه مســائل

الأولى : النهى عن التَّسَمِّى بملك الأملاك .

الثانية : أن ما فى معناه مثله . كما قال سفيان .

الثـالثـة : التفطن للتغليـظ فى هذا ونحـوه . مع القطـع بأن القلبَ لم يقصد معناه .

الرابعة : التفطن أن هذا الإجلال لله سبحانه .

باب احترام أسماء الله تعالى ، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبى شريـح أنـه كان يكنى أبـا الحكم . فقـال له النبي ﷺ : إن الله هو الحكمُ وإليه الحُكْمُ . فقال : إنَّ قومي إذا اختلفوا فى شىء أتـوني فحكمت بينهم فَرَضِيَ كلا الفـريقين ، فقـال : ما أحْسن هذا ، فمَـا لَكَ مِنَ الـوَلَـدِ ؟ قلتُ : شريح . ومسلم . وعبد الله ، قال : فَمَـن أَكْـبَـرُهُم ؟ قلت : شريـح ، قال : فأنت أبـو شريح . رواه أبو داود وغيره .

مشـاركـة لله فى أسـمائـه ، وصفـاتـه ، كقـاضى القضـاة وملك الملوك ، ونحـوهـا . وحـاكم الحكـام . أو بأبى الحكم ونحـوه . وكـل هذا حفـظ للتوحيد ولأسماء الله وصفاته . ودفع لوسائل الشرك حتى فى الألفاظ التى يُخشى أن يُتَدَرَّجَ منها إلى أن يُظَنَّ مشاركةُ أحدٍ لله فى شىء من خصائصه وحقوقه .

فيـــه مسـائل

الأولى : احترام صفات الله وأسماء الله ولو لم يقصد معناه .

الثانية : تغيير الاسم لأجل ذلك .

الثالثة : اختيار أكبر الأبناء للكنية .

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقـول الله تعـالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ : إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعبُ ﴾ الآية[1].

وعن ابن عُمَـرَ ومحمـد بن كعب وزيـد بن أسلم وقتـادة ، دخـل حديث بعضهم فى بعض : أنه قال رَجُلٌ فى غزوة تبوك (مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَـا هَؤُلَآءِ،أرغبَ بُطـونـًا ولا أكْـذَبَ ألْسُنـاً . ولا أَجْبَنَ عِنْدَ اللقاء ــ يعنى رسول الله ﷺ وأصحابه القراء ــ فقال له عوفُ ابنُ مَالِك : كذَبْتَ . ولكنَّـك مُنـافق لأخْـبرَ ن رَسُـولَ الله ﷺ فذهب عوف إلى رسـول الله ﷺ لِيُخْـبِرَه فَوَجَـدَ القرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ فَجَاءَ ذلك الرَّجُلُ إلى رسـول الله ﷺ . وقـد ارتحَلَ وَرَكِبَ ناقته . فقال : يَا رَسُولَ الله إنما كنا نَخُوضُ ونتَحَدَّثُ حَدِيثَ الركب ، نقطعُ به عَنَّا الطريق .

(باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول)

أى فإن هذا مناف للإيمان بالكلية ، ومخرج من الدين . لأن أصل الدين الإيمان بالله وكتبه ورسله .

---

(١) صدر الآية ٥٠ : فصلت .

قال ابن عمر : كأني أنظرُ إليه متعلقًا بنسعة ناقةِ رسولِ الله ﷺ وإن الحجَارة تنكبُ رِجليْه ، وهويقول : (إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) فيقـولُ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : (أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) ؟ مَا يَلْتفتُ إِليه وَمَا يَزيدُه عليه .

فيــــه مســائل

الأولى : وهى العظيمة . أن مَنْ هَزَل بهذا فإنَّهُ كَافر .

الثانية : أن هذا تفسيرِ الآية فيمَنْ فعل ذلك كائِنًا من كان .

الثالثة : الفرق بين النَّمِيمَة والنَّصِيحَة لله ولرَسُوله .

الـرابعـة : الفـرق بين العَفْـوِ الذى يحُبُّه الله وَبَيْنَ الغِلْظَةِ على أَعْدَاءِ الله .

الخامسة : أنَّ مِنَ الأعذار ما لا يَنْبَغِى أن يُقْبَل .

باب ما جاء فى قول الله تعالى

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِي ﴾ الآية(١).

ومن الإيمان تعظيم ذلك . ومن المعلوم أن الاستهزاءَ والهزلَ بشىء من هذه أشد من الكفر المجرد .. لأن هذا كفر وزيادة احتقار وازدراء .

فإن الكفار نوعان : معرضون ومعارضون .

فالمُعَـارِضُ المحارب لله ورسوله ، القادح بالله وبدينه ورسوله أَغْلَظُ كفرًا وأعظمُ فسادًا .

والهازل بشىء منها من هذا النوع .

---

(١) صدر الآية ٥٠ : فصلت .

قال مجاهد : هذا بعملي ، وأنا محقوق به .

وقال ابن عباس يريد : من عندي .

وقوله : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾[1] .

قال قتادة : عَلَىٰ علمٍ مني بوجوه المكاسب .

وقال آخرون : على علم من الله أني له أَهْلٌ .

وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شَرَفٍ .

وعن أبي هريرة أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول : « إِنَّ ثلاثةً مِن بني إسرائيل : أبرَصَ وأقرَعَ وأَعْمَىٰ ، فأرادَ اللهُ أن يَبْتَلِيَهُم ، فبعَثَ إليهم مَلَكًا فأتى الأبرَصَ فقال : أَيُّ شيءٍ أَحَبُّ إليكَ ؟ قال : لونٌ

(باب ما جاء فى قول الله تعالى)
﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ ﴾

مقصـودُ هذه الـترجمة أَنَّ كل من زعم أن ما أوتيه من النعم والرزق فهـو بكـده وحـذقـه وفطنته ، أو أنه مستحق لذلك لما يظن له على الله من الحق ، فإن هذا منـاف للتـوحيـد لأن المـؤمن حقـا من يعـترف بنعم الله الظـاهـرة والبـاطنـة ويثنى على الله بها ، ويضيفها إلى فضله وإحسانه ، ويستعين بها على طاعته ولا يرى له حقا على الله ، وإنما الحق كله لله ، وأنـه عبـد محض من جميـع الـوجـوه ، فبهـذا يتحقق الإيـمان والتوحيد ، وبضـــده يتحقق كفـران النعم . والعجب بالنفس والإدلال الـذى هو من أعظم العيوب .

---

(١) صدر الآية ٧٨ : القصص .

حَسَنٌ ، وَجلدٌ حَسَنٌ ، ويذهبُ عَنّي الَّذي قَدْ قَذَرني الناسُ به قال فَمَسَحَهُ ، فذهبَ عنه قَذَرُهُ ، فأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا ، قال فأيُّ المَالِ أحَبُّ إلَيْكَ ؟ قال : الإبل أو البقر ـ شك اسحاق ـ فأعْطِيَ ناقةً عُشَرَاءَ ، فقَالَ بَارَكَ الله لَكَ فيهَا . قال : فَأَتَى الأقرَعَ فقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إليْكَ ؟ قال : شَعْرٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهبُ عني الذي قَذِرَني النَّاسُ بهِ ، فمَسَحَهُ فذهبَ عَنْه ، وأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا ، فقَال أيُّ المَالِ أَحَبُّ إلَيْكَ ؟ قال البقرُ أو الإبلُ ، فأُعْطِيَ بقرةً حَامِلًا ، قال : بَارَكَ الله لَكَ فيهَا .

قال : وأَتَى الأعْمَىٰ فقَال : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إليْكَ ؟ قال أن يَرُدَّ اللهُ إليَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ به النَّاسَ ، فمَسَحَهُ فَرَدَّ الله إلَيْهِ بَصَرَهُ ، قَالَ : فأيُّ المَالِ أَحَبُّ إلَيْكَ ؟ قَالَ الغَنَمُ ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالدًا فَأُنْتِجَ هَذَان وَوَلَّدَ هَذَا . فكان لِهَذا وَادٍ مِنَ الإبِلِ ، وَلهَذا وَادٍ مِنَ البَقرِ ، وَلهَذا وَادٍ مِنَ الغَنَم .

قَالَ : ثمَّ إنَّه أتَى الأبرَصَ في صُورَتِهِ وهَيْئَتِه فقَال : رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابنُ سَبيلٍ قَد انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ في سَفَري ، فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إلَّا باللهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بالَّذي أعْطَاك اللَّوْنَ الحَسَنَ والجِلْدَ الحَسَن وَالمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ في سَفَرِي ، فقَال : الحُقُوق كثيرة فقَالَ لَهُ : كأني أَعْرِفُكَ ؟ ألم تكن أبْرَصَ يقْذَرُك النَّاسُ ، فقيرًا فأعْطاكَ الله عزَّ وَجَلَّ المَالَ ؟ فقال : إنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابرًا عَنْ كَابرٍ ، فقالَ : إن كُنْتَ كَاذِبًا فصَيَّرَكَ اللهُ إلَى مَا كُنْتَ ، قَال : ثمَّ إنَّهُ أَتَى الأَقْرَعَ في صُورَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا ، وَرَدَّ عَلَيْه مِثْلَ مَا رَدَّ

عَلَيْهِ هَذا ، فَقَال إن كنْتَ كاذبًا فصَيَّرك اللهُ إلى ما كُنْتَ . قَالَ وَأتى الْأعْمَى فى صُورَتِهِ فقال : رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابنُ سَبيل قد انقطعَتْ بيَ الْحِبالُ في سَفَرِي فَلَا بَلَاغ لِيَ اليَوْمَ إلا باللهِ ثُمَّ بِكَ ، أسْألُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شاةً أتبلَّغُ بهَا في سَفَرِي . فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أعْمَىٰ فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي . فَخُذْ مَا شِئْتَ ، وَدَعْ مَا شِئْتَ . فَوَ اللهِ لا أجْهدُكَ اليوم بشيءٍ أخذْتَه للهِ . فقال : أمْسِكْ مَالَكَ فإنَّمَا ابْتُلِيتُم فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ » اخرجاه .

فيــــه مســـائل

الأولى : تفسير الآية .
الثانية : ما معنى ﴿ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي ﴾ .
الثالثة : ما معنى قوله ﴿ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ .
الرابعة : ما فى هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة .

باب قول الله تعالى

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ الآية[1] .

قال ابن حزم : اتفقوا عَلَىٰ تحريم كل اسم معبد لغير الله ، كعَبْدِ عُمَرَ ، وعَبْدِ الكَعْبَة ، وما أشبه ذلك ، حاشَا عَبْد المطلب .

وعن ابن عباس فى الآية ، قال : « لَمَّا تَغَشَّاهَا آدمُ حَمَلَتْ فأتاهُمَا إبليسُ فقال : إني صَاحِبُكمَا الَّذِي أخرَجَكُمَا مِنَ الجَنَّة

---

(۱) صدر الآية ١٩٠ : الأعراف .

لَتُطِيعَانِي أو لأجْعَلنَّ لَهُ قرنَيْ أيلٍ فيَخْرُجَ من بطنك فيشقه ، ولأفعلن ولأفعلن ، يُخَوِّفهُمَا ، سَمِّيَاهُ عَبْدَ الحَارث ، فأبَيَا أن يطيعَاه فخرج مَيِّتًا ، ثم حَمَلَتْ فأتاهُمَا فقال مثل قوله فأبيا أن يُطيعَاه فخرَج مَيِّتًا . ثم حَمَلت فأتـاهُمَـا فذكَرَ لهُمَا ، فأدركَهُمَا حُبُّ الولد ، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله : (جَعَلَا لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا) . رواه ابن أبي حاتم .

ولـه بسَنـد صحيح عن قتادة قال : شُرَكَاء فى طَاعَتِهِ ولم يكن في عِبَادته .

وله بسند صحيح عن مجاهد فى قوله : ﴿ لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا ﴾[1] قال : أشفقا أن لا يكون إنسَانًا .

وذُكِرَ مَعْنَاهُ عن الحسن وسعيد وغيرهما .

فيـــه مســائل

الأولى : تحريم كل اسم مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ الله .

(باب قول الله تعالى)

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾

مقصود الترجمة أن من أنعم الله عليهم بالأولاد ، وكمَّل الله النعمة بهم بأن جعلهم صالحين فى أبدانهم .

وتمـام ذلـك أن يَصْلُحُوا فى دينهم ، فعليهم أن يشكـروا الله على إنعـامه وأن لا يُعَبِّدُوا أولادهم لغـير الله ، أويضيفوا النعم لغير الله ، فإنَّ ذلك كفران للنعم مناف للتوحيد .

---

(١) من الآية ١٨٩ : الأعراف .

الثانية : تفسير الآية .

الثالثة : أن هذا الشرك فى مجرد التسمية لم تقصد حقيقتها .

الرابعة : أَنَّ هِبَةَ اللهِ لِلرَّجُلِ الْبِنْتَ السَّوِيَّةَ مِنَ النِّعَمِ .

الخامسة : ذكر السلف الفرقَ بين الشرك فى الطاعة والشرك فى العبادة .

بــاب قــول الله تعالى

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ الآية[1] .

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس (يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ) يشركون .

وعنه : سموا اللات من الإله . والعزى من العزيز .

وعن الأعمش : يُدْخِلُونَ فيها ما لَيسَ مِنْها .

(باب قول الله تعالى)

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾

أصـل التـوحيـد إثبـات ما أثبتـه الله لنفسـه . أو أثبته له رسوله من الأسماء الحسنى . ومعـرفة ما احتوت عليه من المعانى الجليلة . والمعارف الجميلة . والتَّعَبُّد لله بها ودعاؤه بها .

---

(١) الآية ١٨٠ : الأعراف .

فيــــه مســـائل

الأولى : إثبات الأسماء .
الثانية : كونها حسنى .
الثالثة : الأمر بدُعائه بها .
الرابعة : تَرْكُ مَنْ عَارَضَ مِن الجاهلين الملحدين .
الخامسة : تفسير الإلحاد بها .

فكل مطلب يطلبه العبد من ربه من أمور دينه ودنياه . فليتوسل إليه باسم مناسب له من أسماء الله الحسنى . فمَنْ دعاه لحصول رزق فليسأله باسمه الرزّاق . ولحصول رحمة ومغفرة فباسمه الرحيم الرحمن البَرِّ الكريم العفو الغفور التواب ونحو ذلك .

وأفضل من ذلك أن يدعوه بأسمائه وصفاته دعاءَ العبادة . وذلك باستحضار معانى الأسماء الحسنى وتحصيلِهَا فى القلوب حتى تتأثرَ القلوبُ بآثارها ومقتضيَاتها . وتمتلىء بأجل المعارف .

فمَثَلاً أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلوب تعظيمًا لله وإجلالاً له .

وأسماء الجمال والبر والاحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبةً لله وشوقًا له وحمدًا له وشكرًا .

وأسماء العز والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعًا لله وخشوعًا وانكسارًا بين يديه .

وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلبَ مراقبةً لله فى الحركات والسكنات وحراسة للخواطر عن الأفكار الردية والإرادات الفاسدة .

باب لا يقال السلام على الله

في الصَّحيح عن ابن مسعود رضيَ الله عنه قال : كنَّا إذا كنا مع النبي ﷺ . قلنا : السَّلَامُ عَلَى آللهِ مِنْ عِبَادِهِ . السَّلَامُ عَلَى فلان وفلان . فَقَالَ النبيُّ ﷺ : « لا تَقُولُوا : السَّلامُ عَلَى آللهِ فَإنَّ اللهَ هُوَ السَّلامُ » .

وأسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقاراً واضطرارًا إليه ، والتفاتًا إليه كل وقت ، في كل حال .

فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته ، وتَعَبُّده بها لله لا يُحَصِّلُ العبدُ في الدنيا أَجَلَّ ولا أفضلَ ولا أكملَ منها ، وهي أفضلُ العطايا من الله لعبده ، وهي روحُ التوحيد وروحه .

ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخاص ، والإيمان الكامل الذي لا يحصل إلا للكُمَّلِ من الموحدين .

وإثبات الأسماء والصفات هو الأصل لهذا المطلب الأعلى .

وأما الإلحاد في أسماء الله وصفاته فإنه ينافي هذا المقصد العظيم أعظم منافاة .

والإلحاد أنواع .

إما أن يَنْفِيَ الملحدُ معانيها كما تفعله الجهمية ومن تبعهم .

وإما بتشبيهها بصفات المخلوقين كما يفعله المشبهة من الرافضة وغيرهم .

وإما بتسمية المخلوقين بها كما يفعله المشركون حيث سَمُّوا اللات من الإله ، والعُزَّى من العزيز ، ومناة من المنان ، فاشتقوا لها من أسماء

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير السَّلامْ .
الثانية : أنه تحيّة .
الثالثة : أنها لا تَصْلُح لله .
الرابعة : العِلّة فى ذلك .
الخامسة : تعليمهم التحية التى لا تصلح لله .

باب قول : اللهم اغفرْ لي إن شئت

فى الصحيح عن أبي هريرة أنّ رَسُولِ الله ﷺ قال : « لا يقُلْ

الله الحسنى ، فشبّهُوهَا بالله ثم جعلوا لها من حقوق العبادة ما هو من حقوق الله الخاصة .

فحقيقة الإلحاد فى أسماء الله هو الميل بها عن مقصودها لفظًا أو معنًى ، تصريحًا ، أو تأويلًا ، أو تحريفًا . وكل ذلك مناف للتوحيد والإيمان .

(باب لا يقال السلام على الله)

وقد بيّن ﷺ هذا المعنى بقوله « فإن الله هُوَ السّلام » فهو تعالى السلام السالم من كل عيب ونقص ، وعن مماثلة أحد من خلقه له ، وهو المسلِّم لعباده من الآفات والبليات ، فالعباد لن يبلغوا ضره فيضروه ، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه ، بل هم الفقراء إليه ، المحتاجون إليه فى جميع أحوالهم ، وهو الغنى الحميد .

أَحَـدُكُـم ـ اللهم اغفِـرْ لي إن شِئْتَ . اللهم ارْحمْني إن شئْتَ . لِيعْزم المَسْألة . فإنَّ الله لا مُكْرِه لَهُ » .

ولمسلم « ولِيُعَظِّم الرَّغْبَةَ فَإنَّ الله لَا يَتَعاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ » .

فيـــه مســائل

الأولى : النَّهْيُ عَنِ الاستثناء فى الدعاء .

الثانية : بيان العلة فى ذلك .

الثالثة : قوله « لِيَعْزِم المَسْأَلَةَ » .

الرابعة : اعظام الرغبة .

الخامسة : التعليل لهذا الأمر .

(باب قول : اللهم أغفر لي إن شئت)

الأمـور كلهـا وإن كانت بمشيئـة الله وإرادتـه ، فالمطـالب الـدينيـة كسـؤال الـرحمـة والمغفـرة ، والمطالب الدنيوية المعينة على الدِّين كسؤال العـافيـة والـرزق وتوابع ذلك ، قد أُمِرَ العبد أن يسألها من ربه طالبًا مُلِحًّا جازما ، وهذا الطلب عينُ العُبُودية ومخها .

ولا يتم ذلـك إلا بالطلب الجـازم الـذى ليس فيـه تعليق بالمشيئة ، لأنه مأمورٌ به ، وهو خير محض لا ضرر فيه ، والله تعالى لا يتعاظمه شىء .

وبهـذا يظهـر الفرق بين هذا وبين سؤال بعض المطالب المعينة التى لا يتحقق مصلحتها ومنفعتها ، ولا يجزم أن حصولها خير للعبد . فالعبد يسأل ربَّـه ويعلقـه على اختيـارِ رَبِّـهِ له أصْلَحَ الأمـرين ، كالدعاء المأثور

بـاب لا يقــل : عبدي وأمتي

في الصَّحِيح عن أبي هريـرة ـ أن رسُولَ الله ﷺ قال : « لا يَقُـلْ أَحَـدُكُمْ أَطْعِمْ رَبَّـكَ . وَضِّىءْ رَبَّـكَ . وَلِيَقُـل : سَيِّدِي وَمَوْلَايَ . وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : عَبْدِي وَأَمتِي . وَلِيَقُل : فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامي » .

فيــــه مســـائل

الأولى : النهى عن قول عبدي وأمتي .

الثانية : لا يقول العبدُ لسيده . . ربي ، ولا يُقَالُ له : أطعم ربّك .

« اللهم أحيني إذا كانت الحيـاة خيرًا لي ، وتـوفني إذا علمت الـوفـاة خيرًا لي » وكدعاء الاستخارة .

فافهم هذا الفـرق اللطيف البـديـع بين طلب الأمور النافعة المعلوم نفعهـا وعـدم ضررها ، وأن الداعى يجزم بطلبها ولا يعلقها ، وبين طلب الأمــور التى لا يدرى العبــد عن عواقبهـــا . ولا رجحـــان نفعهـا على ضررهـا . فالـداعى يعلقهـا على اختيار ربه الذى أحاط بكل شىء عِلْمًا وقدرة ورحمة ولطفًا .

(باب لا يقل عبدى وأمتى)

وهذا على وجه الاستحباب أن يَعْدِل العبدُ عن قولِ عَبْدِى وأمتى إلى فتـاى وفتـاتى . تَحَفُّظًا عن اللفظ الذى فيه إيهام ومحذور ولو على وجه بعيـد . وليس حرامًـا ، وإنـما الأدبُ كمال التحفظ بالألفاظ الطيبة التى لا توهم محذورًا بوجـه . فإن الأدبَ فى الألفـاظ دليـل على كمال الإخـلاص خصوصًا هذه الألفاظ التى هى أمس بهذا المقام .

الثالثة : تعليم الأول قول فتاي وفتاتي وغلامي .
الرابعة : تعليم الثانى قول : سيدي ومولاي .
الخامسة : التنبيه للمراد ، وهو تحقيق التوحيد حتى فى الألفاظ .

باب لا يرد من سأل الله

عن ابن عمر رَضِيَ الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : من سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ ، ومَن اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ ، ومَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوه ، ومَنْ صَنَعَ إِلَيْكُم مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِن لم تَجِدُوا ما تكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لهُ حَتَّى تَرَوْا أنكُم كَافأْتُمُوهُ . رواه أبو داود والنسائى بسند صحيح .

(باب لا يرد من سأل الله)
(باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة)

الباب الأول خطاب للمَسْئُول . وأنه إذا أدلى على الإنسان أحدٌ بحاجة وتوسل إليه بأعظم الوسائل . وهو السؤال بالله . أن يجيبه احترامًا وتعظيمًا لحق الله . وأداءًا لحق أخيه حيث أدلى بهذا السبب الأعظم .

والباب الثانى خطاب للسائل . وأن عليه أن يحترمَ أسماء الله وصفاته . وأن لا يسأل شيئًا من المطالب الدنيوية بوجه الله . بل لا يسأل بوجهه إلا أهم المطالب وأعظم المقاصد وهى الجنة بما فيها من النعيم المقيم . ورضا الرب والنظر إلى وجهه الكريم والتلذذ بخطابه . فهذا المطلب الأسنى هو الذى يُسْأَلُ بوجه الله .

فيــــه مســـائل

الأولى : إعاذة من استعاذ بالله .

الثانية : إعطاء من سأل بالله .

الثالثة : إجابة الدعوة .

الرابعة : المكافأة على الصَّنيعَة .

الخامسة : أن الدُّعَاء مُكافأة لمن لم يقدر إلا عليه .

السادسة : قوله حتى تَرَوْا أنكم قد كافأتموه .

باب لا يُسْأَلُ بوجه الله إلا الجنة

عن جابر قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لَا يُسْأَلُ بِوَجْه اللهِ إِلَّا ٱلْجَنَّة » رواه أبو داود .

فيــــه مســـائل

الأولى : النهْيُ عن أن يُسْأَلَ بوَجْه الله إلا غاية المطالب .

الثانية : إثبات صفة الوجه .

وأما المطالب الدنيوية والأمور الدنيئة وإن كان العبد لا يسألها إلا من ربه فإنه لا يسأل بوجهه .

(باب ما جاء فى اللو)

اعلم أن استعمالَ العبدِ للفظة « لـو » تقع على قسمين : مذموم ومحمود .

بـاب ما جـاء فى اللَو

وقول الله تعالى ﴿ يَقُولُونَ : لَوْكَانَ لَنَامِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾[1]. وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾ الآية[2].

فى الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُـك ، وَاسْتَعِنْ بِاُللهِ وَلَا تعْجَـزَنَّ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كذا لكان كذا وكذا ، وَلٰكِنْ قُلْ : قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ : فَإِنَّ لَوْتَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ » .

أمـا المـذمـوم فكأن يقع منه أوعليه أمر لايحبه فيقول : لوأنى فعلت كذا لكان كذا، فهذا من عمل الشيطان، لأن فيه محذورين :

(أحدهما) أنها تفتح عليه بابَ الندم والسخط والحزن الذى ينبغى له إغلاقه وليس فيها نفع .

(الثـانى) أن فى ذلـك سوء أدب على الله وعلى قَدَرِه فإن الأمـور كلهـا والحـوادث دقيقهـا وجليلهـا بقضـاء الله وقَـدَرِه ، وما وقع من الأمور فلابد من وقوعه . ولا يمكن رَدُّهُ . فكأن فى قوله : لوكان كذا أولو فعلت كذا كان كذا . نوع اعتراض ونوع ضعف إيمان بقضاء الله وقدره .

ولا ريب أن هذين الأمرين المحذورين لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد إلا بتركهما .

وأما المحمود من ذلك فأن يقولها العبد تمنياً للخير .

---

(١) من الآية ١٥٤ : آل عمران .

(٢) صدر الآية ١٦٨ : آل عمران .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير الآيتين فى آل عمران .
الثانية : النَّهْيُ الصَّرِيحُ عن قول « لَـوْ » إذا أصَابَكَ شَيْءٌ .
الثالثة : تَعْلِيلُ المسألة بأن ذلك يَفتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ .
الرابعة : الإرشاد إلى الكلام الحَسَن .
الخامسة : الأمرُ بالحِرْص عَلَى ما يَنفع مَعَ الاسْتِعَانة بالله .
السادسة : النهْيُ عَن ضِدِّ ذَلِكَ . وَهُوَ العَجْزُ .

كقوله ﷺ : « لَوْ اسْتقْبلْتُ مِنْ أمْري ما اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الْهدْيَ وَلأَهْلَلْتُ بالعُمْرَة » .

وقوله فى الرجل المتمنى للخير « لوْ أنَّ لِي مثْلَ مَالِ فُلان لَعَمِلْتُ فيه مثْلَ عَمَلِ فُلان » .

و (لوْ صَبَرَ أخي مُوسى لقصَّ الله عليْنا مِنْ نَبأهما) أى فى قصته مع الخضر .

وكـما أن (لـو) إذا قالهـا متمنِّياً لِلْخَيْرِ فهو محمود . فَإِذا قالها متمنيا للشر فهو مذموم .

فاستعمال (لـو) تكون بحسب الحال الحامل عليها .

إن حَمَلَ عليهـا الضجـرُ والحـزن وضعف الإيـمان بالقضاء والقدر أو تمنى الشر كان مذموما .

وإن حمل عليها الرغبة فى الخير والإرشاد والتعليم كان محمودًا ولهذا جعل المصنف الترجمة محتملة للأمرين .

بـاب النهى عن سَبِّ الرِّيح

عنْ أُبَىٍّ بن كَعْبٍ رَضِىَ الله عَنْـهُ : أن رَسُـول الله ﷺ قال : لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِذَا رَأيتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فقُولُوا : « اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَٰذِهِ الرِّيحِ وخَيْرِ مَا فِيهَا . وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ . وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِه الرِّيح وَشرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ » صححه الترمذى .

فيـــه مســائل

الأولى : النهى عن سَبِّ الريح .

الثانية : الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رَأَى الإنسانُ ما يكره .

الثالثة : الإرشاد إلى أنها مَأْمُورَة .

الرابعة : أنها قد تُؤْمَرُ بخيرٍ وقد تؤمرُ بشرٍّ .

(باب النهى عن سب الريح)

وهذا نظيرٌ ما سبق فى سب الدهر ، إلّا أن ذلك الباب عام فى سب جميع حوادث الدهر . وهذا خاص بالريح . ومع تحريمه فإنه حمق وضعف فى العقل والرأى . فإن الريح مُصَرَّفة مُدَبرة بتدبير الله وتسخيره فالسَّابُّ لها يقـع سَبُّه على مَنْ صَرَّفَهَـا . ولـولا أن المتكلم بسب الـريح لا يخطر هذا المعنى فى قلبه غالبا لكان الأمر أفظع من ذلك ، ولكن لا يكاد يخطر بقلب مسلم .

باب قول الله تعالى

﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ . يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ؟ قُلْ : إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ الآية[1].

وقوله : ﴿ الظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ الآية[2].

قال ابن القيم فى الآية الأولى :

فُسِّرَ هذا بأنه سُبْحانه لا ينصرُ رَسُولَه . وأَنّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِل .

وفُسِّرَ بظنِّهم أن مَا أَصَابهم لم يكن بقَدَرِ اللهِ وحكْمَتِهِ.

فَفُسِّرَ بإِنكار الحكمَةِ ، وإنكار القَدَرِ . وإِنكارِ أن يَتِمّ أَمْرُ رَسُولِهِ ﷺ ، وأن يُظهره على الدِّين كله .

وهذا هُوَ ظَنُّ السّوء . الذى ظَنَّه المنافقُون والمشركُون فى سورة الفتح .

(باب قول الله تعالى)

﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾

وَذلك أنه لا يَتِم لِلْعبد إيمان ولا توحيد حتى يعتقد في جميع ماأخبر الله به من أسمائه ، وصفاته ، وكماله . وتصديقه بكل ما أخبر الله به من أسمائه وصفاته وكماله . وتصديقه بكل ما أخبر به ، وأنه يفعله ، وما وعد

---

(١) من الآية ١٥٤ : آل عمران .

(٢) من الآية : ٦ سورة الفتح .

وإنما كان هذا ظن السّوء لأنه ظَنٌّ غَيْرِ ما يليقُ بِهِ سُبْحَانه . وما يليقُ بحكمته وحَمْدِه وَوَعْدِه الصَّادق .

فَمَنْ ظن أنه يُدِيلُ الباطلَ على الحقِ إدالَةً مُسْتقرةً يَضْمَحِلُّ معها الحقُّ .

أو أنْكَرَ أن يكونَ ما جَرَى بقضَائِهِ وقَدَرِه .

أو أنكر أن يكونَ قَدَرُه لِحِكْمَةٍ بالغةٍ يَسْتحقُّ عَلَيْهَا الحمدَ بل زَعَمَ أن ذلك لمشيئةٍ مُجَرَّدَةٍ فذلك ظَنُّ الذينَ كَفَرُوا .

فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ .

وأكثرُ النَّاسِ يَظنونَ بالله ظَنَّ السوء فيما يَختصُّ بِهِمْ وفيما يفعله بغَيْرِهِمْ ولا يَسْلَمُ من ذلك إلا مَنْ عَرَفَ الله ، وأسْمَاءه ، وصِفاته ، وموجب حكمته وحمده .

فَلْيَعْتَنِ اللَّبيبُ النَّاصِحُ لنفسه بهَذا ، وليَتُبْ إلى الله ويستغفره مِنْ ظَنِّهِ بربه ظَنَّ السوء .

ولو فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَ لَرَأيْتَ عنده تَعَنُّتاً على الْقَدَرِ وملامة له . وَأنَّهُ كَانَ ينبغي أن يكونَ كذا وكذا ، فَمُسْتَقِلٌ وَمُسْتَكْثِرٌ ، وفتش نَفْسَكَ هلْ أنتَ سَالِمٌ ؟

فَإِن تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِن ذِي عَظِيمَةٍ
وَإِلا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيَا

به من نصر الدين . وإحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، فاعتقاد هذا من الإيمان وطمأنينة القلب بذلك من الإيمان .

وكل ظن ينافي ذلك فإنه من ظنون الجاهلية المنافية للتوحيد لأنها سوء ظن بالله ، ونفيٌ لكماله وتكذيبٌ لخبره ، وشك في وعده ، والله أعلم .

فيــــه مســائل

الأولى : تفسير آية آل عمران .

الثانية : تفسير آية الفتح .

الثالثة : الإخبار بأن ذلك أنواع لا تُحْصَرُ .

الرابعة : أنه لا يَسْلمُ مِنْ ذلك إلا مَنْ عرف الأسْمَاءَ والصِّفات وَعَرَفَ نَفْسَهُ .

باب ما جاء فى منكرى القدر

وقال ابنُ عمر : والَّذى نَفْسُ ابنِ عُمَرَ بيده ، لَوْكَانَ لأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا ، ثُمَّ أَنفقَهُ فِى سَبيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَــدَرِ ، ثم اسْتَــدَلَّ بِقَــوْلِ النبيِّ ﷺ : الإيمَــانُ أن تُؤْمِنَ بِاللهِ

(باب ما جاء فى منكرى القدر)

قد ثبت بالكتـاب والسنـة وإجمـاع الأمـة : أن الإيـمان بالقدر أحد أركـان الإيـمان ، وأنـه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فمن لم يؤمن بهذا فإنه ما آمن بالله حقيقة .

فعلينـا أن نؤمن بجميـع مراتب القَـدَر : فنؤمن أن الله بكل شىء عليم ، وأنه كتب فى اللوح المحفوظ جميعَ ما كان وما يكون إلى يوم القيامة وأن الأمور كلها بخلقه وقدرته وتدبيره .

ومن تمام الإيمان بالقدر : العلم بأن الله لم يجبر العباد على خلاف ما يريدون بل جعلهم مختارين لطاعتهم ومعاصيهم .

وَمَلائكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِر ، وتؤمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . رَوَاهُ مُسْلِم .

وعَنْ عُبَادة بْن الصَّامِت أَنَّهُ قَالَ لابنه : يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَن تَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أن مَا أصَابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكن لِيُصِيبَكَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : إنَّ أوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، فَقَالَ : رَبِّ وَمَاذَا أكْتُبُ ؟ قَال : اكتب مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ .

يَا بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي » .

وفى رواية لأحْمَدَ : « إنَّ أوَّلَ مَا خَلَقَ الله تَعَالَى الْقَلَمَ ، فَقَالَ له : اكْتُبْ فَجَرَى في تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْم القِيَامَة » .

وفى رِوَايَةٍ لابْن وَهْب — قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (فَمَنْ لَمْ يُؤْمِن بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ) .

وَفى المُسْنَدِ وَالسُّنَنِ عَن ابْن الدّيلمى . قال : (أَتَيْتُ أُبَيَّ ابنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ فِى نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ : فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ ، لَعَلَّ الله يُذْهِبُه مِنْ قَلْبِي فَقَالَ : لَوْ أنفقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ الله مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقدَرِ ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَم يَكُن لِيُصِيبَكَ ، وَلَوْمتَّ عَلَىٰ غَيْر هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، قال : فأتيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ ، وَحُذَيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَزَيْدَ ابْنَ ثَابِتٍ ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَٰلِكَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ . حديث صحيح رواه الحاكم فى صحيحه .

فيـــه مســائل

الأولى : بيان فرض الإيمان بالقدر .

الثانية : بيان كيفية الإيمان به .

الثالثة : إحباط عَمَلِ من لم يُؤمن به .

الرابعة : الإخبار بأن أَحَدًا لا يجد طعْمَ الإيمان حتى يؤمن به .

الخامسة : ذِكْرُ أولِ مَا خَلَقَ اللهُ .

السادسة : أنه جَرَى بالمقادِيرِ فى تِلْكَ السَّاعَةِ إِلَىٰ قِيام الساعة .

السابعة : بَرَاءَتُهُ ﷺ مِمَّنْ لم يُؤمن به .

الثامنة : عَادَةُ السَّلَفِ فى إِزَالَةِ الشبْهَةِ بِسُؤَالِ العُلَماءِ .

التاسعة : إن العلماء أجابُوه بما يُزيل شبهته ، وذلك أنهم نَسَبُوا الكَلَامَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فقط .

بـاب ما جـاء فى المصورين

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : قال الله تعـالى : « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُـواْ ذَرَّةً . أَوْلِيَخْلُقُواْ حَبَّة أَوْلِيَخْلُقواْ شَعِيرَةً » . أخرجاه .

وَلهُمَـا عَنْ عَائِشَـةَ رَضِىَ الله عَنْهَـا ــ أن رَسُولَ الله ﷺ قال : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ ٱللهِ » .

ولهُمَا عن ابن عَبَّاس سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُول : « كُلُّ مُصَوِّرٍ فى النَّار يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعذَّبُ بها في جَهَنَّمَ » .

ولهما عنه مرفوعا ـ (مَنْ صَوَّر صُورَةً في الدُّنْيا كُلِّفَ أنْ يَنْفُخَ فيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بنَافخ) .

ولمُسْلِم عن أبي الهياج : قال : « قال لي عَلِيّ : ألا أَبْعَثُك عَلَىٰ ما بَعَثَنِي عَلَيْه رَسُولُ الله ﷺ ؟ أن لَا تَدَعَ صُورَةً إلا طَمَسْتَهَا ، ولا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ .

فيـــه مســائل

الأولى : التغليظ الشديدُ فى المصَوِّرِينَ .

الثـانيـة : التنبيه على العلّة وهو ترك الأدب مع الله ، لقوله : « ومن أظلمُ ممن ذهَبَ يخلق كخلقي » .

الثالثة : التنبيه على قدرته وعجْزهم ، لقوله : « فليخلُقوا ذَرَّةً أو شعيرة .

الرابعة : التصْريح بأنهم أشدُّ الناس عذابًا .

(باب ما جاء فى المصورين)

وهــذا من فروع البــاب الســابق أنـه لَا يَحِلُّ أن يُجْعَلَ لِلهِ نِدًّا فى النيات ، والأقوال ، والأفعال . والند المشابه ولو بوجه بعيد .

فاتخـاذ الصـور الحيـوانيـة تشبـه بخلق الله ، وكـذب على الخلقـة الإلهية . وتمويه وتزوير ، فلذلك زجر الشارع عنه .

الخامسة : أن الله يخلق بعدَدَ كل صورة نفسًا يعذب بها المصوِّرَ في جهنم .

السادسة : أنه يُكلفُ أن ينفخَ فيها الروحَ .

السابعة : الأمر بطمْسِهَا إذا وجدت .

بـاب ما جـاء فى كثرة الحلف

وقول الله تعالى : ﴿ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ ﴾[1].

عن أبي هُرَيْرَة رضىَ الله عنه : قال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول : « الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْب » أخرجاه .

وعن سَلْمَان : أن رَسُولَ الله ﷺ قال : « ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُم اللهُ ولا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ : أُشَيْمِـطٌ زَانٍ ، وَعَـائِـلٌ مُسْتَكْبِـرٌ ، وَرَجُـلٌ جَعَـلَ اللهُ بِضَاعتهُ لا يَشْتَرِى إِلاَّ بيَمِينِهِ ، وَلا يَبِيعُ إلاَّ بِيَمِينِهِ » رواه الطبراني بسند صحيح .

(باب ما جاء فى كثرة الحلف)

أصـل اليمـين إنـما شُرِعَتْ تأكيـدًا للأمـر المحلوف عليه ، وتعظيمًا للخالق ، ولهذا وجب أن لا يُحْلَفَ إلا بالله ، وكان الحلف بغيره من الشرك .

ومن تمام هذا التعظيم أن لا يحلف بالله إلا صادقا .

ومن تمام هذا التعظيم أن يحترم اسمـه عن كثـرة الحلف.فالكـذب وكثرة الحلف تنافى التعظيم الذى هو روح التوحيد .

---

(١) من الآية ٨٩ : المائدة .

وفي الصَّحِيحِ عن عِمْرَان بنِ حصين رضيَ الله عنه قال : قال : رَسُولُ الله ﷺ : « خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثمّ الَّذِينَ يلُونَهُمْ (قال عمْران فَلَا أدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْن أَو ثَلاثًا) ثمَّ إن بَعْدكُم قَوْمٌ يَشْهَدُون وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ ، وَيظْهَرُ فيهِمُ السِّمَنُ » .

وفيه عَن ابْنِ مَسْعُود أنَّ النبي ﷺ قال : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ » .

وقال إبراهيم : كانُوا يَضربُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ والْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ .

فيه مسائل

الأولى : الوصيَّة بحفظ الأيمان .

الثانية : الإخبَارُ بأنّ الحلفَ مَنفَقَة لِلسِّلْعَةِ ، ممحَقَةٌ لِلْبَرَكة .

الثالثة : الوعيد الشديدُ فيمَن لا يبيعُ إلا بيَمِينِهِ وَلَا يشتري إلا بيمينه .

الرابعة : التنبيه على أن الذنبَ يعْظمُ مَعَ قِلَّة الدَّاعِى .

الخامسة : ذم الذينَ يَحْلِفُون ولا يُسْتَحْلَفُون .

السادسة : ثناؤه ﷺ على القرُون الثلاثة أو الأربَعة . وذكر ما يَحْدُثُ بعْدَهُمْ .

السابعة : ذم الذين يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ .

الثامنة : كَوْن السّلف يضْرِبُون الصِّغار عَلى الشهَادة والعَهْد .

باب ما جاء فى ذِمَّة الله وذِمَّة نَبِيِّه

وقـول الله تعـالى : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ الآية[1].

عن بريدة قال : « كان رسولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أو سَرية أوصَاه بِتَقْوَى اللهِ . ومَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمينَ خيرًا .

فقـال : اُغْـزُوا بِٱسْمِ ٱللهِ ، فِي سَبِيـلِ الله . قَاتِلُوا مَنْ كَفَـرَ بِالله ، اغْــزُوا ، وَلَا تُغْـلُوا ، وَلا تَغْــدِرُوا ، ولا تُمَـثِّلُوا ، وَلا تَقْتُلُوا وَليـدًا . وإذا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ المُشْـرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاثِ خِصَـالٍ ــ أَوْ خِلَالٍ ــ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ . ثُمَّ ادعُهُمْ

(باب ما جاء فى ذمة الله وذمة نبيه)

المقصـود من هذه الـترجمة البعدُ والحذرُ مِنَ التعرض للأحوال التى يُخْشَى منها نقضُ العهود والاخلال بها بعدما يجعل للأعداء المعاهدين ذمة الله وذمـة رسـولـه . فإنـه متى وقـع النقضُ فى هذه الحـال كان انتهاكًا من المسلمــين لذمـة الله وذمـة نبيـه ، وتـركـًا لتعظيم الله ، وارتكـابًـا لأكـبر المفْسَدَتَيْن كما نبَّه عليه ﷺ .

وفى ذلـك أيضـًا تهوينٌ للدين والإسـلام وتـزهيـدٌ للكفار به ، فإن الوفاء بالعهود خصوصًا المؤكدة بأغلظ المواثيق من محاسن الإسلام الداعية للأعداء المنصفين إلى تفضيله واتباعه .

---

(١) صدر الآية ٩١ : النحل .

إِلى الإسْلام فَإن أجَابُوك فاقْبَلْ مِنْهُمْ . ثُمَّ ادْعُهُم إِلَى التَّحَوُّلِ من دَارِهِمْ إِلى دَار المُهَاجِرِينَ وَأخْبِرْهُمْ أنهم إن فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرين وَعَلَيْهم مَا عَلى المُهَاجِرينَ . فإنْ أبَوْا أن يَتحوّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهمْ أنهُم يَكونُونَ كَأعْرَاب المُسْلِمينَ يَجْرِى عَلَيْهِم حُكْمُ الله تَعَالى . وَلا يَكُونُ لَهُمْ فى الغَنِيمَةِ وَالفَيْءِ شَيْءٌ ، إلّا أن يُجَاهِدُوا مَعَ المُسْلِمِينَ . فإن هُمْ أبَوْا فَأسْألْهُم الْجِزْيَةَ . فإن هُمْ أجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ . وَكُفَّ عَنْهُمْ . فإن هُم أبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ .

وَإِذا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْن فَأَرَادُوك أَن تجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ الله وذمَّةَ نَبِيِّه فلا تجْعَلْ لهُم ذمَّةَ الله وذمَّة نبيه . ولكن اجْعل لهُم ذِمَّتَك وذمّة أصْحَابِكَ ، فَإِنكُمْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذمَّة أصْحَابِكُم أهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وذمَّةَ نَبِيِّه ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوك أَنْ تُنزِلَهُم عَلى حُكْمِ اللهِ . فلا تُنزلهم عَلى حُكْمِ اللهِ وَلكن أَنزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فإنَّك لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا » رواه مسلم .

فيـــه مســائل

الأولى : الفرق بَيْنَ ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسْلِمِين .

الثانية : الإرشادُ إلى أقل الأمرين خطرًا .

الثالثة : قوله : « اغزوا بسم الله فى سبيل الله » .

الرابعة : قوله : « قاتلوا مَنْ كَفَرَ بالله » .

الخامسة : قوله : « اسْتَعِنْ بالله وقاتلهم » .

السادسة : الفرق بين حُكْمِ الله وحكم العُلَماءِ .

السـابعـة : فى كونِ الصَّحَـابى يحكم عِنْـدَ الحَـاجَة بحكم لا يَدْرِى أَيوافق حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا ؟

باب ما جاء فى الأقسَام على الله

عن جنـدب بن عبْـد الله رَضِىَ الله عَنْـهُ قال : قال رَسُولُ الله ﷺ : « قَالَ رَجُلٌ : وَٱللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ ، فَقَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ مَنْ ذَا الَّـذِي يَتَأَلَّي عَلَيَّ أَن لَا أَغْفِـرَ لِفُـلَانٍ ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ » رواه مسلم .

وفى حديث أبي هريـرة : « إن القَـائِـلَ رَجُـلٌ عَابِدٌ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:تكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ » .

(باب الإقسام على الله)
(وباب لا يستشفع بالله على خلقه)

وهذان الأمران من سوء الأدب فى حق الله ، وهو مناف للتوحيد .

أمـــا الإقســـام على الله فهـو فى الغـالـب من باب العجب بالنفس والإدلال على الله ، وسـوء الأدب معـه ، ولا يتم الإيـمان حتى يسلم من ذلك كله .

وأمـا الاستشفـاع بالله على خلقـه فهـو تعـالى أعظم شأنـًا من أن يُتَـوَسَّـلَ به إلى خلقـه ، لأن رتبةَ المتوَسَّلِ به غالبًا دون رتبةِ المتَوَسَّلِ إليه ، وذلـك من سوء الأدب مع الله ، فيتعـين تركـه ، فإن الشفعاء لا يشفعون

فيـــه مســائل

الأولى : التحذيرُ مِن التَّألّي عَلَى الله ؟
الثانية : كون النار أقرب إلى أحَدِنَا من شِرَاكِ نَعْلِهِ .
الثالثة : أنَّ الجَنَّةَ مثل ذلك .
الرابعة : فيه شاهدٌ لقوله : « إن الرجُلَ ليتكلم بالكَلِمَةِ » الى آخره .
الخامسة : أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُغْفَرُ لَهُ بِسَبَبٍ هُوَ مِنْ أَكْرَهِ الْأُمُورِ إِلَيْهِ .

باب لا يُسْتَشْفَعُ بالله على خلقه

عن جُبَيْـر بن مطعم رضِيَ الله عَنْـه قال : (جَاءَ أَعْـرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَارَسُولَ اللهِ ، نَهِكَتْ الأَنفُسُ وَجَاعَ العِيَالُ . وَهَلَكَتْ الأَمْـوالُ . فَاسْتَسْقِ لَنَـا رَبَّـكَ ، فَإِنَّـا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ وَبِكَ عَلَى اللهِ ـ فَقَـالَ النَّبِيُّ ﷺ : سُبْحَـانَ الله ! سُبْحَـان الله ! فَمَـا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِـكَ فِى وُجُـوه أَصْحَابه . ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَيْحَكَ : أَتَـدْرِى مَا الله؟ ؟ إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِـكَ . إِنَّـهُ لَا يُسْتَشْفَـعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ) وذكر الحديث رواه أبو داود .

عنده إلا بإذنه ، وكلهم يخافونه فكيف يعكس الأمر فيجعل هو الشافع ، وهو الكبير العظيم الذى خضعت له الرقاب وذلت له الكائنات بأسرها .

فيـــه مســائل

الأولى : الإنكارُ عَلَى مَنْ قال : « نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ » .
الثانية : تغيره تغيرًا عُرِفَ فِي وُجُوه أَصْحَابه مِنْ هَذِهِ الكلمة .
الثالثة : أنه لم يُنكِرْ عَلَيْهِ قوله : « نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ » .
الرابعة : التنبيه على تفسير « سُبْحَان الله » .
الخامسة : أن المُسْلِمِينَ يَسْأَلُون الاسْتِسْقَاءَ .

باب ما جاء فى حماية النبي (ﷺ) حمى التوحيد ، وسده طرق الشرك

عن عَبْدِ الله بن الشخير رضِيَ الله عَنْه قال : (انْطَلَقْتُ فِى وَفْدِ بَنِى عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقُلْنَا : أَنْتَ سَيِّدُنَا ، فَقَالَ : السَّيِّدُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، قُلْنَا : وأَفْضَلُنَا فَضْلًا ، وأَعْظَمُنَا طَوْلاً ،

(باب ما جاء فى حماية المصطفى حمى التوحيد وسده طرق الشرك)

تقدم نظير هذه الترجمة وأعادها المصنف اهتماماً بالمقام فإن التوحيد لا يتم ولا يحفظ ولا يحصن إلا باجتناب جميع الطرق المفضية إلى الشرك والفرق بين البابين أن الأول فيه حماية التوحيد بسد الطرق الفعلية ، وهذا الباب فيه حمايته وسده بالتأدب والتحفظ بالأقوال .

فقـال : قُولُـواْ بقَـوْلِكُـمْ ، أوْ بعْضِ قَوْلِكُمْ ، وَلَا يَسْتَجْـرِينَّكُمْ الشَّيْطَانُ) . رواه أبو داود بسند جيد .

وعن أنس رضِيَ الله عنـه : أنَّ نَاسًا قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، يَا خَيْرَنَـا وَابْنَ خَيْرِنَا ، وَسَيِّدَنَا وابْنَ سَيِّدِنَا . فقال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بقَـوْلِكُمْ وَلا يَسْتَهْـوِينَّكُمُ الشَّيْطانُ ، أنا مُحَمَّدُ بنُ عبْدِ اللهِ ورَسُولُهُ . مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُـونِي فَوْق مَنْـزِلتي التي أنْـزلني الله عزَّ وجلَّ) . رواه النسائى بسند جيد .

فيـــه مســائل

الأولى : تحذير الناس من الغلو .

الثانية : ما ينبغى أن يقول من قيل له « أنت سيدنا » .

الثالثة : قوله « لا يستجرينكم الشيطان » مع أنهم لم يقولوا إلا الحق .

الرابعة : قوله : « ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي » .

فكـل قول يُفضى إلى الغلو الـذى يُخْشَى منه الوقوع فى الشرك فإنه يتعين اجتنابه ولا يتم التوحيد إلا بتركه .

والحـاصـل أن تمام التـوحيد بالقيام بشروطه ، وأركانه ، ومكملاته ومحققاته ، وباجتناب نواقضه ومنقصاته ظاهرًا وباطنا ، قولًا وفعلا وإرادة واعتقادًا .

وقد مضى من التفاصيل ما يوضح ذلك .

باب ما جاء في قول الله تعالى

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الآية[1]. عن ابْن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه قَالَ : (جَاء حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ . والأرضينَ على أصبع . والشجرَ على أصبع . والمَاءَ على أصبع والثَّرَى على أصبع وسَائِرَ الخلقِ على أصبع . فيقولُ أنا المَلِكُ ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نواجذُه : تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْر ـ ثم قرأ : رسولُ الله ﷺ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ الآية).

(باب قول الله تعالى)
﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾

ختم المصنف رحمه الله تعالى كتابه بهذه الترجمة .

وذكرَ النصوصَ الدَّالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه ، ومجده وجلاله وخضوع المخلوقات بأسرها لعزه ، لأن هذه النعوت العظيمة والأوصاف الكاملة أكبر الأدلة والبراهين على أنه المعبود وَحْدَه . المحمود وحده الذي يجب أن يُبْذل له غاية الذل والتعظيم وغاية الحب والتأله . وأنه الحق وما سواه باطل ، وهذه حقيقة التوحيد ولبه وروحه . وسر الإخلاص .

---

(١) صدر الآية ٦٧ : الزمر .

وفى رِوَايـةٍ لمُسْلِمٍ : « والجِبَالُ والشجَرُ على أصبـع ـ ثم يَهُزُّهُنَّ فيقولُ : أنا المَلِكُ أنَا اللهُ » .

وفى رِوَايـة البخـارى : (وَيَجْعَـلُ السَّمَـٰواتِ عَلَى أصبـع ـ والمَاءَ والثَّرَى على أصبع ، وسَائِرَ الخلق على أصبع) أخرجاه .

ولمُسْلِمٍ عن ابن عُمَرَ مرفـوعًـا : « يَطْـوِى الله السَّمَـٰواتِ يَوْمَ القِيَـامـة ثم يأخُـذُهُنَّ بيـدِهِ اليُمْنَى . ثم يَقـولُ : أنَـا المَلِكُ ـ أين الجَبَّارُون أيْنَ المُتَكَبِّرُونَ ؟ ثم يَطْوِى الأرضِينَ السَّبْعَ ـ ثم يَأْخُذُهُنَّ بشِمَاله ـ ثم يقولُ : أنا المَلِكُ ، أين الجَبَّارُونَ ؟ أين المُتَكَبِّرُونَ ؟ » .

ورُوِىَ عن ابن عَبَّـاسٍ قال : ما السَّمَـٰواتُ السَّبْـعُ والأرضُونَ السبع فِى كَفِّ الرَّحْمَٰن إلا كخَرْدَلَةٍ فى يَدِ أَحَدِكُم .

وقال ابن جرير : حدثني يونس أخْبَرَنَا ابن وَهْب قال : قال : ابنُ زَيْـدٍ حدثني أبي قال : قال رسُـول الله ﷺ : « ما السَّمَـٰوات

فنسأل الله أن يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته والإنابة إليه إنه جواد كريم .

وهذا آخر التعليق المختصر على كتاب التوحيد وتوضيح مقاصده . وقد حوى من غُرر مسائل التوحيد . ومن التقاسيم والتفصيلات النافعة ما لا يستغنى عنـه الـراغبـون فى هذا الفن الـذى هو أصل الأصول وبه تقوم العلوم كلها .

والحمد لله على تيسيره ومنته .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

السَّبْعُ فى الكُرْسِيِّ إلا كَدَراهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِى تِرْسٍ » قال : وقال أَبُو ذَرٍّ رَضِىَ الله عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ : (مَا الْكُرْسِيُّ فى العَرْشِ إلا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَىْ فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ) .

وعن ابن مسعـود قال : بَيْنَ السَّمَـاءِ الـدُّنيـا وَالَّتى تَلِيهـا خَمْسُمِـائَـةِ عامٍ ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَـاء وسمـاء خَمْسُمِـائَـةَ عام ـ وبين السَّمَـاء السَّـابعـة والكـرسى خمسمـائة عام ـ وبين الكرسى والماء خمسمـائـة عام ـ وَالْعَـرْشُ فَوْقَ المَاء ـ والله فَوْقَ العَرْشِ لا يَخْفَى عليه شَيْءٌ من أَعْمَالِكم) أخرجه ابن مهدى عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبـد الله ورواه بنحـوه المسعـودي عن عاصم عن أبى وائل عن عبد الله قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى قال : وله طرق .

وعن العَبَّاس بن عَبْدِ المُطَّلِبِ رضى الله عنه قال : قال رَسُول الله ﷺ : (هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟ قُلْنَا : اللهُ وَرَسُولُه أَعْلَمُ ؟ قال بيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ . ومنْ كُلِّ سَمَاء إِلى سَمَاء مَسِيـرَةُ خَمْسِمِـائَـةِ سنَـةٍ . وكثف كُلِّ سَمَـاء مسيرَة خَمْسِمائَة سنةٍ . وبَيْنَ السَّمَاء السَّابعة والعَرْش بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِه وأعْلَاه كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأرض والله سُبْحَـانَـهُ وَتعَـالَى فَوْقَ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْه شَىْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِى آدم) أخرجه أبو داود وغيره .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير قوله (والأرضُ جميعًا قبضته) .

الثانية : أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين فى زمنه ﷺ ولم ينكرُوها ولم يتأَوَّلُوهَا .

الثـالثـة : أن الحـبر لمَّا ذكـر ذلـك لِلنَّبِيِّ ﷺ صَدَّقَـه . ونَـزَلَ القرآنُ بتقرير ذلك .

الرابعة : وقوعُ الضَّحِكِ منه ﷺ لما ذَكَرَ الحَبْرُ هذا العِلْمَ العظيم .

الخـامسـة : التصّريـحُ بذكْـرِ اليَدَيْنِ . وَأَنَّ السَّمٰوَاتِ فى اليدِ اليُمْنَى . والأرضين فى اليدِ الأخْرَى .

السادسة : التصْريح بتَسْمِيَتِهَا الشمال .

السابعة : ذكر الجبارين والمتكبِّرين عند ذلك .

الثامنة : قوله «كخَرْدَلَةٍ فى كَفِّ أحدكم » .

التاسعة : عِظَم الكرّسى بالنسْبَةِ إلى السمٰوات .

العاشرة : عَظَمَة العَرْشِ بالنسْبَة للكرسى .

الحادية عشرة : أن الْعَرْشَ غَيْرُ الكُرْسِى ، والماءِ .

الثانية عشرة : كَمْ بيْنَ كُلِّ سَماء إلى سماء .

الثالثة عشرة : كم بين السَّماء السَّابِعة والكرسى .

الرابعة عشرة : كم بين الكرسى والماء .

الخامسة عشرة : أن العرش فوق الماء .

السادسة عشرة : أن الله فوق العرش .

السابعة عشرة : كم بين السَّماء والأرض .

الثامنة عشرة : كثف كل سماء خمسمائة سنة .

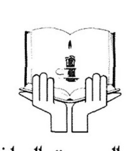
التاسعة عشرة : أن البحر الذى فوق السَّماوات بين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة سنة والله سبحانه وتعالى أعلم .

والحمد لله ربِّ العالمين ، وصلَّى الله على سيدِنَا محمد وعلى آله وصَحْبه أجمعين .

الفهـرس

فهرس لكتاب التوحيد — والقول السديد





دار الدعوة السلفية

٥١ شـارع بولبتين

الإبراهيمية ت : ٥٩٧٨٤٠٣